

## سُورَةُ يُوسُفَ

مَكِّيَّةٌ [إِلَّا الْآيَاتِ ١ وَ ٢ وَ ٣ وَ ٧ فَمَدَنِيَّةٌ]

وهي مائة وإحدى عشرة آية [نزلت بعد سورة هود]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّيَّاكَ ءَايَةُ الْكِتَابِ الْمُنِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِيَةَ ﴿٣﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾: إشارة إلى آيات السورة، و﴿الْكِتَابِ الْمُنِينِ﴾: السورة، أي: تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في إعجاز العرب وتبكيهم، أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله، لا من عند البشر، أو الواضحة التي لا نشبهه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم، أو قد أُبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف، فقد روي أن علماء اليهود. قالوا لكبراء المشركين: سلوا محمداً، لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر؟ وعن قصة يوسف، ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾: أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، وسمي بعض القرآن قرآناً؛ لأن القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: إرادة أن تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم، ﴿رَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجَبِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ﴾ [فصلت: ٤٤]. ﴿الْقَصَصُ﴾ على وجهين: يكون مصدراً بمعنى: الاقتصاص، تقول: قصّ الحديث يقصه قصصاً؛ كقولك: شله يشله شيئاً، إذا طرده، ويكون: «فعلاً» بمعنى: «مفعول»، كالنفض والحسب؛ ونحوه: النبأ والخبر: في معنى المنبأ به والمخبر به، ويجوز أن يكون من تسمية المفعول بالمصدر، كإنخلق والصيد، وإن أريد المصدر، فمعناه: نحن نقص عليك أحسن القصص، ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ أي: بإيحاءنا إليك هذه السورة، على أن يكون أحسن منصوباً نصب المصدر؛ لإضافته إليه، ويكون المقصوص محذوفاً؛ لأن قوله: ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾: مغن عنه، ويجوز أن ينتصب هذا القرآن بنقص / ١٦٥، كأنه قيل: نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص هذا القرآن بإيحاءنا إليك، والمراد بأحسن الاقتصاص: أنه اقتصر على أبداع طريقة وأعجب أسلوب؛ ألا ترى أنّ هذا الحديث مقتصر في كتب الأولين وفي كتب التواريخ، ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقارباً؛ لاقتصاصه في القرآن، وإن

أريد بالقصص المقصوص، فمعناه: نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث؛ وإنما كان أحسنه لما يتضمن من العبر، والنكت، والحكم، والعجائب، التي ليست في غيرها<sup>(١)</sup>، والظاهر: أنه أحسن ما يقتص في بابه، كما يقال في الرجل: هو أعلم الناس وأفضلهم، يراد في فنه.

فإن قلت: مم اشتقاق القصص؟

قلت: من قص أثره إذا اتبعه؛ لأن الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً، كما يقال: تلا القرآن، إذا قرأه؛ لأنه يتلو، أي: يتبع ما حفظ منه آية بعد آية، ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ﴾: إن مخففة من الثقيلة، واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية، والضمير في ﴿قَبْلِهِ﴾: راجع إلى قوله: «ما أوحينا»، والمعنى: وإن الشأن والحديث كنت من قبل إيحائنا إليك من الغافلين عنه، أي: من الجاهلين به، ما كان لك فيه علم قط، ولا طرق سمعك طرف منه.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿١٣١﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾: بدل من أحسن القصص، وهو من بدل الاشتمال؛ لأن الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص، فإذا قص وقته فقد قص، أو بإضمار: «اذكر»، ويوسف اسم عبراني، وقيل عربي وليس بصحيح؛ لأنه لو كان عربياً لانصرف؛ لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف.

فإن قلت: فما تقول فيمن قرأ: (يوسف) بكسر السين، أو: (يوسف) بفتحها، هل يجوز على قراءته أن يقال: «هو عربي»؛ لأنه على وزن المضارع المبني للفاعل أو المفعول من آسف؛ وإنما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل؟

قلت: لا؛ لأن القراءة المشهورة قامت بالشهادة، على أن الكلمة أعجمية، فلا تكون عربية تارة وأعجمية أخرى، ونحو يوسف: يونس، رويت فيه هذه اللغات الثلاث، ولا يقال: هو عربي؛ لأنه في لغتين منها بوزن المضارع من أنس وأونس، وعن النبي ﷺ: «إِذَا قِيلَ: مِنَ الْكَرِيمِ؟ فَقُولُوا: الْكَرِيمُ أَبُو الْكَرِيمِ أَبُو الْكَرِيمِ أَبُو الْكَرِيمِ: يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ» (٧٧٥)، ﴿يَتَأْتِ﴾: قرئ بالحركات الثلاث.

٧٧٥ - أخرجه الثرمذي (٢٩٣/٥) كتاب تفسير القرآن باب: ومن سورة يوسف حديث (٣١١٦)، والنسائي =

(١) قوله: «ليست في غيرها» لعله «في غيره» كعبارة النسفي (ع).

فإن قلت: ما هذه التاء؟

قلت: تاء تأنيث وقعت عوضاً من ياء الإضافة، والدليل على أنها تاء تأنيث قلبها هاء في الوقف.

فإن قلت: كيف جاز إلحاق تاء التأنيث بالمذكر؟

قلت: كما جاز نحو قولك: حمامة ذكر، وشاة ذكر، ورجل ربعة، وغلام يفعة.

فإن قلت: فلم ساغ تعويض تاء التأنيث من ياء الإضافة؟

قلت: لأن التأنيث والإضافة يتناسبان في أنّ كل واحد منهما زيادة مضمومة إلى الإسم في آخره.

فإن قلت: فما هذه الكسرة؟

قلت: هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك: يا أبي، قد زحلقتم إلى التاء؛ لاقتضاء تاء التأنيث أن يكون ما قبلها مفتوحاً.

فإن قلت: فما بال الكسرة لم تسقط بالفتح التي اقتضتها التاء، وتبقى التاء ساكنة؟

قلت: امتنع ذلك فيها؛ لأنها اسم، والأسماء: حقهها التحريك؛ لأصالتها في الإعراب؛ وإما جاز تسكين الياء وأصلها أن تحرك تخفيفاً؛ لأنها حرف لين، وأما التاء: فحرف صحيح نحو كاف الضمير، فلزم تحريكها.

فإن قلت: يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه؛

في «التفسير» رقم (٢٧٤) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٦٠٥)، وأحمد (٣٣٢/٢)، والطبري في تفسيره (٥٣/٢)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤٢٩/٢)، والحاكم (٣٤٦/٢ - ٣٤٧)؛ كلهم من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً وقال الترمذي: حديث حسن. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وللحديث شاهد من حديث ابن عمر أخرجه البخاري (٤٨٠/٦) كتاب أحاديث الأنبياء باب: أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت رقم (٣٣٨٢)، وذكره في كتاب التفسير (٢١٢/٨) باب: ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق رقم (٤٦٨٨).

قال الحافظ: أخرجه الترمذي والنسائي والحاكم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الكريم ابن الكريم... إلى آخره» وفي البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «الكريم بن الكريم إلى آخره»، وهو في المتفق عليه عن أبي هريرة لكن بلفظ: «سئل النبي ﷺ: أي الناس أكرم؟ فقال: أكرمهم عند الله أتقاهم. قالوا: يا رسول الله، ليس عن هذا نسألك. قال: فأكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله». انتهى.

لأنها في حكم الياء، إذا قلت: يا غلام، فكما لا يجوز: «يا أبتى»، لا يجوز: «يا أبت».

قلت: الياء والكسرة قبلها شيءان، والتاء عوض من أحد الشيتين، وهو الياء والكسرة غير متعرض لها، فلا يجمع بين العوض والمعوض منه، إلا إذا جمع بين التاء والياء لا غير؛ ألا ترى إلى قولهم: «يا أبتا» مع كون الألف فيه بدلاً من التاء، كيف جاز الجمع بينها وبين التاء، ولم يعد ذلك جمعاً بين العوض والمعوض منه، فالكسرة أبعد من ذلك.

فإن قلت: فقد دلت الكسرة في: «يا غلام» على الإضافة؛ لأنها قرينة الياء ولصيقتها.

فإن دلت على مثل ذلك في: «يا أبت»، فالتاء المعوضة لغو: وجودها كعدمها.

قلت: بل حالها مع التاء كحالها مع الياء إذا قلت يا أبي.

فإن قلت: فما وجه من قرأ بفتح التاء وضمها؟

قلت: أما من فتح فقد حذف الألف من: «يا أبتا»، واستبقى الفتحة قبلها، كما فعل من حذف الياء في: «يا غلام»، ويجوز أن يقال: حركها بحركة الباء المعوض منها في قولك: «يا أبي»، وأما من ضم، فقد رأى اسماً في آخره تاء تأنيث، فأجراه مجرى الأسماء المؤنثة بالتاء فقال: «يا أبت»، كما تقول: «يا تبة»<sup>(١)</sup>، من غير اعتبار؛ لكونها عوضاً من ياء الإضافة، وقرئ: «إني رأيت»: بتحريك الياء، وأحد عشر: بسكون العين؛ تخفيفاً لتوالي المتحركات فيما هو في ختم اسم واحد، وكذا إلى تسعة عشر، إلا اثني عشر؛ لثلاث يلتقي ساكنان، ورأيت من الرؤيا، لا من الرؤية؛ لأن ما ذكره معلوم أنه منام؛ لأن الشمس والقمر لو اجتماعاً مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة، لكانت آية عظيمة ليعقوب - عليه السلام - ولما خفيت عليه وعلى الناس.

فإن قلت: ما أسماء تلك الكواكب؟

قلت: زوى جابر أن يهودياً جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ النُّجُومِ الَّتِي رَأَى يُوْسُفُ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فنزّل جبريل فأخبره بذلك، فقال النبي ﷺ: «لِيُيُودِي: «إِنْ أَخْبَرْتُكَ هَلْ تُسَلِّمُ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «جَرِيَانُ، وَالطَّارِقُ، وَالذِّيَالُ، وَقَابِسُ، وَعَمُودَانُ، وَالْفَلِيقُ، وَالْمَصْبِيحُ، وَالضَّرُوحُ، وَالْفَرُغُ، وَوَتَابُ، وَذُو الْكُتْفَيْنِ، رَأَى يُوْسُفُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ نَزَلْنَ مِنَ السَّمَاءِ وَسَجَدْنَ لَهُ». فقال

(١) قوله: «كما تقول ياتبة» بكسر التاء وتشديد الباء: الحالة الشديدة. وفي نسخة: يا ابنة، كذا بهامش الأصل (ع).

اليهودي: إي والله، إنها لأسماؤها (٧٧٦). وقيل: الشمس والقمر أبواه، وقيل: أبوه وخالته، والكواكب: إخوته، وعن وهب أن يوسف رأى وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة عصا طوالة كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدارة، وإذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها، فوصف ذلك لأبيه، فقال: إياك أن تذكر هذا لإخوتك، ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة: الشمس والقمر والكواكب تسجد له، فقصها على / ١٦٥ أب أبيه، فقال له: لا تقصها عليهم، فيبغوا لك الغوائل، وقيل: كان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته إليه أربعون سنة، وقيل: ثمانون. فإن قلت لم أخرج الشمس والقمر؟ قلت: أخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص؛ بياناً لفضلهما، واستبادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع، كما أخرج جبريل وميكائيل عن الملائكة، ثم عطفهما عليها لذلك، ويجوز أن تكون الواو بمعنى: مع، أي: رأيت الكواكب مع الشمس والقمر.

فإن قلت: ما معنى تكرار رأيت؟<sup>(١)</sup>.

٧٧٦ - أخرجه الحاكم (٣٩٦/٤) من طريق أسباط بن نصر عن السدي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر ابن عبد الله به.

وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي، وأخرجه العقيلي (٢٥٩/١)، وابن جبان في «المجروحين» (٢٥٠/١ - ٢٥١)، والبخاري وأبو يعلى والبيهقي في «الدلائل»، وكذا أبو نعيم؛ كما في «تخريج الكشاف» (١٦٠/٢)، من طريق الحكم بن ظهير الفزاري عن السدي بالإسناد السابق. وقال البزار: لا نعلم يرويه إلا جابر ولا طريقاً عنه إلا هذا الطريق، والحكم بن ظهير ليس بالقوي. وقد روى عنه جماعة من أهل العلم. أ.هـ. قلت: وقول البزار: متعقب بإسناد الحاكم فقد توبع الحكم.

وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٤)، وعزاه إلى سعيد بن منصور والبزار وأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والعقيلي وابن جبان في «الضعفاء وأبي الشيخ والحاكم وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي معاً» في «دلائل النبوة».

قال الحافظ:

أخرجه الحاكم من طريق أسباط عن السدي عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر قال «جاء بستان اليهودي إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، هل تعرف النجوم التي رآها يوسف فسجدن له؟ فسكت... الحديث» ولم يذكر فيهن الشمس والقمر وقال: رآها يوسف محيطة بأكتاف السماء ساجدة له، وزاد: فقصها على أبيه فقال له: إن هذا أمر قد تشئت وسيجمعه الله بعد»، رواه أبو يعلى والبزار والبيهقي وأبو نعيم في الدلائل والطبراني وأبو حاتم في رواية الحاكم بن زهير عن السدي نحوه، وذكره العقيلي من حديثه، وقال: لا يثبت. وقال البزار: لا نعلم له طريقاً إلا =

(١) قال محمود: «إن قلت ما معنى تكرار رأيت... إلخ» قال أحمد: وأحسن من ذلك أن الكلام طال بين الفعل. الحال، فطرى ذكر الفعل لمناسبة الحال وهي المقصودة، إذ الآية في السجود كانت، والله أعلم.

قلت: ليس بتكرار؛ إنما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جواباً له، كأن يعقوب - عليه السلام - قال له عند قوله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾: كيف رأيتها سائلاً عن حال رؤيتها؟ فقال: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾.

فإن قلت: فلم أجريت مجرى العقلاء في رأيهم لي ساجدين؟

قلت: لأنه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود، أجرى عليها حكمهم، كأنها عاقلة، وهذا كثير شائع في كلامهم، أن يلبس الشيء الشيء من بعض الوجوه، فيعطى حكماً من أحكامه؛ إظهاراً لأثر الملابس والمقاربة.

﴿قَالَ يَبْنَؤُ لَا نَقْصُصُ رُؤْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُرِيكَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝﴾

عرف يعقوب - عليه السلام - دلالة الرؤيا على أن يوسف يبلغه الله مبلغاً من الحكمة، ويصطفيه للنبوّة، وينعم عليه بشرف الدارين، كما فعل بآبائه، فخاف عليه حسد الإخوة وبغيهم، والرؤيا بمعنى: الرؤية؛ إلا أنها مخصصة بما كان منها في المنام دون اليقظة، فرق بينهما بحرفي التانيث، كما قيل: القرية والقري، وقرئ: «رؤياك»، وبقلب الهمزة واواً، وسمع الكسائي: رُيَاك ورِيَاك؛ بالإدغام وضم الراء وكسرهما، وهي ضعيفة؛ لأن الواو في تقدير الهمزة، فلا يقوى إدغامها كما لم يقو الإدغام في قولهم: «اتزر»: من الإزار، و«اتجر»: من الأجر، ﴿فَيَكِيدُوا﴾: منصوب بإضمار: «أن»، والمعنى: إن قصصتها عليهم كادوك.

فإن قلت: هلا قيل: فيكيدوك، كما قيل: فكيدوني؟

قلت: ضمن معنى فعل يتعدى باللام؛ ليفيد معنى فعل الكيد، مع إفادة معنى الفعل المضمن، فيكون أكد وأبلغ في التخويف؛ وذلك نحو: فيحتالوا لك؛ ألا ترى إلى تأكيده بالمصدر، ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء، ولقوله: ﴿لَأَقْتَدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر، ليورث من يحمله، ولا يؤمن أن يحمله على مثله، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: ومثل ذلك الاجتباء، ﴿يَجْنِيكَ رَبُّكَ﴾ يعني:

هكذا. والحاكم ليس بقوي، وكذا قال البيهقي: إن الحاكم تفرد به. وغفل عن طريق شيخ الحاكم، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات. وأعله بالحاكم. وطريق الحاكم يدفع على الحكم وذكر ابن أبي حاتم في العلل عن أبي زرعة؛ أنه قال: حديث منكر. انتهى.

وكما اجتنابك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شأن، كذلك يجتنبك ربك لأمر عظام، وقوله: ﴿وَيَعْلَمُكَ﴾: كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه، كأنه قيل: وهو يعملك ويتم نعمته عليك، والاجتناب: الاصطفاء، افتعال من جبيت الشيء إذا حصلته لنفسك، وجبيت الماء في الحوض: جمعته، والأحاديث: الرؤيا؛ لأنَّ الرؤيا إمَّا حديث نفس أو ملك أو شيطان، وتأويلها. عبارتها وتفسيرها، وكان يوسف - عليه السلام - أعبر الناس للرؤيا، وأصحهم عبارة لها، ويجوز أن يراد بتأويل الأحاديث: معاني كتب الله وسنن الأنبياء، وما غمض واشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها، يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها، وسميت: أحاديث؛ لأنه يحدث بها عن الله ورسله، فيقال: قال الله، وقال الرسول كذا وكذا؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَأَيَّ حَدِيثٍ بَعَثُوا يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠]، ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]: وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع أحداثه، ومعنى إتمام النعمة عليهم: أنه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة؛ بأن جعلهم أنبياء في الدنيا وملوكاً، ونقلهم عنها إلى الدرجات العلا في الجنة، وقيل: أتمها على إبراهيم بالخلة، والإنجاء من النار، ومن ذبح الولد، وعلى إسحاق بإنجائه من الذبح، وفدائه بذبح عظيم، وبإخراج يعقوب والأسباط من صلبه، وقيل: علم يعقوب أنَّ يوسف يكون نبياً وإخوته أنبياء؛ استدلالاً بضوء الكواكب؛ فلذلك قال: ﴿وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٦]، وقيل: لما بلغت الرؤيا إخوة يوسف، حسدوه، وقالوا: ما رضي أن سجد له إخوته حتى سجد له أبواه، وقيل: كان يعقوب مؤثراً له بزيادة المحبة والشفقة؛ لصغره، ولما يرى فيه من المخايل، وكان إخوته يحسدونه، فلما رأى الرؤيا، ضاعف له المحبة، فكان يضمه كل ساعة إلى صدره ولا يصبر عنه، فتبالغ فيهم الحسد، وقيل: لما قص رؤياه على يعقوب، قال: هذا أمر مشئت يجمع الله لك بعد دهر طويل، وآل يعقوب: أهله، وهم نسله وغيرهم، وأصل آل: أهل؛ بدليل تصغيره على أهيل، إلا أنه لا يستعمل إلا فيمن له خطر، يقال: آل النبي، وآل الملك، ولا يقال: آل الحائك، ولا آل الحجام، ولكن أهلهما، وأراد بالأبوين: الجد، وأبأ الجد؛ لأنهما في حكم الأب في الأصالة، ومن ثم يقولون: ابن فلان، وإن كان بينه وبين فلان عدَّة، ﴿إبراهيم وإسحاق﴾: عطف بيان لأبويك، ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾: يعلم من يحق له الاجتناب، ﴿حَكِيمٌ﴾: لا يتم نعمته إلا على من يستحقها.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلنَّاسِ لِيُنذِرَ﴾

﴿فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾ أي: في قصتهم وحديثهم، ﴿آيَاتٌ﴾: علامات، ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شيء، ﴿لِّلنَّاسِ لِيُنذِرَ﴾: لمن سأل عن قصتهم وعرفها، وقيل: آيات

على نبوة محمد ﷺ للذين سألوه من اليهود عنها، فأخبرهم بالصحة من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب، وقرئ: «آية»، وفي بعض المصاحف: «عبرة»، وقيل: إنما قص الله تعالى على النبي - عليه الصلاة والسلام - خبر يوسف وبغي إخوته عليه، لما رأى من بغي قومه عليه ليتأسى به، وقيل: أساميههم: يهوذا، وروبييل، وشمعون، ولاوى، وربالون، ويشجر، ودينه، ودان، ونفتالي، وجاد، وأشر: السبعة الأولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب، والأربعة الآخرون من سريتين: زلفة، وبلهة، فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل، فولدت بنيامين ويوسف.

﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٨﴾

﴿ليوسف﴾ اللام: للابتداء، وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة، أرادوا أن زيادة محبته لهما أمر ثابت<sup>(١)</sup> لا شبهة فيه، ﴿وأخوه﴾ هو: بنيامين؛ وإنما قالوا: أخوه، وهم جميعاً إخوته؛ ١١٦٦ لأن أمهما كانت واحدة، وقيل: ﴿أحب﴾: في الاثنين؛ لأن أفعال من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه، ولا بين المذكر والمؤنث إذا كان معه: «من»، ولا بد من الفرق مع لام التعريف، وإذا أضيف جاز الأمران، والواو في: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: واو الحال، يعني: أنه يفضلهما في المحبة علينا، وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة، ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه، فنحن أحق بزيادة المحبة منهما، لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما، ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي: في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك، والعصبة والعصابة: العشرة فصاعداً، وقيل: إلى الأربعين؛ سموا بذلك

(١) قال محمود: «اللام للتوكيد، دخلت للأشعار بأن زيادة محبة أبيهم لهما أمر ثابت... إلخ» قال أحمد: وهذه تؤيد قراءة ابن مروان «هُؤْلَاءُ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ» بالنصب. وقد قال سيويه فيها: احتبى ابن مروان في لحنه، أي تمكن. وحيث تأيدت بقراءة أمير المؤمنين كرم الله وجهه، فلا بد من التماس المحمل الصحيح لها وليس ذلك ببعيد إن شاء الله فنقول: لو قالوا «ليوسف وأخوه أحب إلى أينا منا ونحن نحن» على طريقة [من الرجز]:

أنا أبو النجم وشعري شعري

ونحو: أنا أنا وأنت أنت. لم يكن في فصاحته مقال: وقد علمت أن معنى أنا أنا: أي أنا الموصوف بالأوصاف الشهيرة التي استغنى عن ذكرها، فلا بعد والحالة هذه في حذف الخبر، لمساواته المبتدأ وعدم زيادته عليه لفظاً، وراحة من تكرار اللفظ بعينه، والسياق يرشد إلى المحذوف، وإذا كان كذلك فقول القائلين «لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ» معناها: ونحن نحن، ولكن استغفروا عن الخبر للسر الذي ذكرناه، فقولهم: (نحن) كلام تام بالتقدير المذكور، فلا غرو في وقوع الحال بعده، وهذا بعينه يجري في قوله «هُؤْلَاءُ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ» فقوله (هن) في حكم الكلام التام. والمراد: هؤلاء بناتي هن المشهورات بالأوصاف الحميدة الظاهرة. وأصل الكلام: هن هن، فوقع الحال بعد التمام، والله أعلم.

لانهم جماعة تعصب بهم الأمور ويستكفون النوايب، وروى النزال بن سبرة عن علي - رضي الله عنه - : «ونحن عصبه»؛ بالنصب، وقيل: معناه: ونحن نجتمع عصبه، وعن ابن الأنباري: هذا كما تقول العرب؛ إنما العامري: عمته، أي: يتعهد عمته.

﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾: من جملة ما حكى بعد قوله: «إذ قالوا»؛ كأنهم أطبقوا على ذلك إلا من قال: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾، وقيل: الأمر بالقتل شمعون، وقيل: دان، والباقيين: كانوا راضين، فجعلوا أمرين، ﴿أَرْضًا﴾: أرضاً منكورة، مجهولة، بعيدة من العمران، وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الوصف، وإيهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة، ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ﴾: يقبل عليكم إقبالة واحدة لا يلتفت عنكم إلى غيركم، والمراد: سلامة محبته لهم ممن يشاركون فيها وينازعونهم إياها، فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم؛ لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه، ويجوز أن يراد بالوجه الذات، كما قال تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقيل: (يخل لكم): يفرغ لكم من الشغل بيوسف، ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد يوسف، أي: من بعد كفايته بالقتل أو التغريب، أو يرجع الضمير إلى مصدر اقتلوا أو اطرحوا، ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾: تائبين إلى الله مما جنيتهم عليه، أو يصلح ما بينكم وبين أبيكم بعذر تمهدونه، أو تصلح دنياكم وتنتظم أموركم بعده بخلو وجه أبيكم، و﴿وَتَكُونُوا﴾؛ إنما مجزوم عطفاً على: (يخل لكم)، أو منصوب بإضمار: «أن والواو» بمعنى: مع؛ كقوله: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ [البقرة: ٤٢].

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا نَقْتُلُ يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾: هو يهوذا، وكان أحسنهم فيه رأياً، وهو الذي قال: فلن أبرح الأرض، قال لهم: القتل عظيم، ﴿وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ﴾: وهي غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله؛ قال المُنْخَل [من الطويل]:

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾: هو يهوذا، وكان أحسنهم فيه رأياً، وهو الذي قال: فلن أبرح الأرض، قال لهم: القتل عظيم، ﴿وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ﴾: وهي غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله؛ قال المُنْخَل [من الطويل]:

وَإِذْ أَنَا يَوْمًا غَيْبَتُنِي غَيْابَتِي فَسِيرُوا بِسَيْرِي فِي الْعَشِيرَةِ وَالْأَهْلِ<sup>(١)</sup>

(١) للمنخل. والغيابة: ما غاب عن الناظر من أسفل البشر ونحوه. يقول: وإن غيبتني مقبرتي، كناية عن موته، فسيروا بسيري، أي فانعوني وسيروا بذكر خصالي، على عادة العرب إذا مات منها رئيس. ويحتمل أنه يوصي أقاربه بالخير، وأنهم يسرون بمثل سيره، ويفعلون كفعله في جيرانه وقربته. ينظر البيت في روح المعاني ١٢/١٩٢، ومجاز القرآن ١/٣٠٢، ومعجم الشعراء ٣٨٨، والبحر =

أراد غيابة حفرة التي يدفن فيها، وقرئ: «غيابات»: على الجمع، و«غيابات»: بالتشديد، وقرأ الجحدري: «غيبة»، والجب: البئر لم تطو؛ لأن الأرض تجب جبا لا غير، ﴿يَلْقَظُ﴾: يأخذه بعض السيارة بعض الأقوام الذين يسيرون في الطريق، وقرئ: «تلقظه»: بالثاء على المعنى؛ لأن بعض السيارة سيارة؛ كقوله [من الطويل]:

..... كَمَا شَرِقْتُ صَدْرُ الْقَنَاءِ مِنَ الدَّمِ<sup>(١)</sup>

ومنه: ذهب بعض أصابعه، ﴿إِنْ كُنْتُمْ قَائِلِينَ﴾: إن كنتم على أن تفعلوا ما يحصل به غرضكم، فهذا هو الرأي.

﴿قَالُوا يَا بَنِي آدَمَ مَا لَكَ لَآ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿مَا لَكَ لَآ تَأْمَنَّا﴾، قرئ بإظهار النونين، وبالإدغام بإشمام وبغير إشمام، و: تيمنا: بكسر التاء مع الإدغام، والمعنى: لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه؟ وما وجد منا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة<sup>(٢)</sup>، وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته في حفظه منهم، وفيه دليل على أنه أحسن منهم بما أوجب ألا يأمنهم عليه، ﴿يَرْتَعْ﴾: يتسع في أكل الفواكه وغيرها، وأصل الرتعة: الخصب والسعة، وقرئ: «يرتع»: من ارتعى يرتعي، وقرئ: «يرتع ويلعب»: بالياء، ويرتع: من ارتع ماشيته، وقرأ العلاء بن سيابة: «يرتع» بكسر العين، و«يلعب»: بالرفع على الابتداء.

فإن قلت: كيف استجاز لهم يعقوب - عليه السلام - اللعب؟

قلت: كان لعبهم الاستباق والانتضال، ليضروا أنفسهم بما يحتاج إليه لقتال العدو لا للهو؛ بدليل قوله: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ [يوسف: ١٧]؛ وإنما سموه لعباً؛ لأنه في صورته.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَدْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿لَيَحْزُنُنِي﴾: اللام: لام الابتداء؛ كقوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [النحل: ١٢٤].

ودخولها أحد ما ذكره سيويه من سببي المضارعة، اعتذر إليهم بشيئين:

= المحيط ٢٨٥/٥، ومعجم المرزباني (٣٨٨)، والمؤلف (٢٧١)، والقرطبي ١٩٤/٥، والمحزر ٩/٢٥٤، والدر المصون ١٥٨/٤.

(١) تقدم.

(٢) قوله: «ما يدل على خلاف النصيحة والمقة» أي المحبة. وقد ومقه يمقه، بالكسر فيهما: أي أحبه، فهو وامق، كذا في الصحاح (ع).

أحدهما: أن ذهابهم به ومفارقتة إياه مما يحزنه؛ لأنه كان لا يصبر عنه ساعة.

والثاني: خوفه عليه من عدوة الذئب إذا غفلوا عنه<sup>(١)</sup> برعيهم ولعبهم، أو قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم، وقيل: رأى في النوم أن الذئب قد شد على يوسف فكان يحذره، فمن ثم قال ذلك فلقتنهم العلة، وفي أمثالهم: «البلاء موكل بالمنطق»، وقرئ: (الذئب): بالهمزة على الأصل وبالتخفيف، وقيل: اشتقاقه من «تذابت الريح»: إذا أنت من كل جهة:

﴿قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

القسم محذوف تقديره: والله، ﴿لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾: واللام موثقة للقسم، وقوله: ﴿إِذَا إِذَا لَّخَسِرُونَ﴾: جواب للقسم، مجزئ عن جزاء الشرط، والواو في (ونحن عصبه): واو الحال، حلفوا له: لئن كان ما خافه من خطفة الذئب أخاهم من بينهم - وحالهم أنهم عشرة رجال، بمثلهم تعصب الأمور وتكفى الخطوب - إنهم إذا لقوم خاسرون، أي: هالكون ضعفاً وخوراً وعجزاً، أو مستحقون أن يهلكوا؛ لأنه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم، أو مستحقون، لأن يدعي عليهم بالخسارة والدمار، وأن يقال: خسرهم الله، ودمرهم: حين أكل الذئب بعضهم وهم حاضرون، وقيل: إن لم تقدر على حفظ بعضنا، فقد هلكت مواشينا إذا وخسرناها.

فإن قلت: قد اعتذر إليهم بعذرين، فلم أجابوا عن أحدهما دون الآخر؟

قلت: هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الأمرين<sup>(٢)</sup> فأعاروه آذاناً صماً ولم يعبؤوا به.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن يُعْجِلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُمُعِ وَأَرْحِنَا إِلَيْهِ لَتُنْتِنَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ

لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾

(١) قال محمود: «اعتذر لهم بأمرين: أحدهما حزنه لمفارقتة، والثاني خوفه عليه من الذئب إذا غفلوا عنه... إلخ» قال أحمد: وكان أشغل الأمرين لقلبه خوف الذئب عليه، لأنه مظنة هلاكه. وأما حزنه لمفارقتة ريثما يرتع ويلعب ويعود سالماً إليه عما قليل، فأمر سهل؛ فكانهم لم يشتغلوا إلا بتأمينه وتطمينه من أشد الأمرين عليه، والله أعلم.

(٢) قوله: «ويذيقهم الأمرين، الأمرين - بنون الجمع -: الدواهي، كذا بهامش. وفي الصحاح: الأمران: الفقر والهزم. وفيه أيضاً: الأمر: المصارين يجتمع فيها القرث. قال الشاعر:  
فلا تهد الأمر وما يليه ولا تهذن معروق العظام  
وقال أبو زيد: لقيت منه الأمرين، بنون الجمع: وهي الدواهي اهـ (ع).

﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ﴾: مفعول، (أجمعوا): من قولك: أجمع الأمر وأزمعه، ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾،  
 وقرئ: «في غيابات الجب»: قيل: هو بئر بيت المقدس، وقيل: بأرض الأردن، وقيل:  
 بين مصر/ ١٦٦ ب ومدين، وقيل: على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب، وجواب «لما»:  
 محذوف، ومعناه: فعلوا به ما فعلوا من الأذى، فقد روي أنهم لما برزوا به إلى البرية  
 أظهروا له العداوة، وأخذوا يهنونه ويضربونه، وكلما استغاث بواحد منهم لم يغشه إلا  
 بالإهانة والضرب، حتى كادوا يقتلونه، فجعل يصيح: يا أبتاه، لو تعلم ما يصنع بابنك  
 أولاد الإماء، فقال يهوذا: أما أعطيتموني موثقاً ألا تقتلوه؟ فلما أرادوا الإلقاء في الجب  
 تعلق بشياهم، فترعوا من يده، فتعلق بحائط البئر، فربطوا يديه، ونزعوا قميصه، فقال:  
 يا إخواناه، ردوا عليّ قميصي أتواري به، وإنما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على  
 أبيهم، فقالوا له: ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً تؤنسك، ودلوه في البئر، فلما  
 بلغ نصفها ألقوه ليموت، وكان في البئر ماء فسقط فيه، ثم أوى إلى صخرة فقام عليها  
 وهو يبكي، فنادوه، فظن أنها رحمة أدركتهم، فأجابهم، فأرادوا أن يرضخوه ليقتلوه  
 فمنعهم يهوذا، وكان يهوذا يأتيه بالطعام، ويروي أن إبراهيم - عليه السلام - حين ألقى في  
 النار، وجرّد عن ثيابه، أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه، فدفعه إبراهيم إلى  
 إسحاق، وإسحاق إلى يعقوب، فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف، فجاء  
 جبريل فأخرجه وألبسه إياه، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ قيل: أوحى إليه في الصغر كما أوحى إلى  
 يحيى وعيسى، وقيل: كان إذ ذاك مدركاً، وعن الحسن: كان له سبع عشرة سنة،  
 ﴿لَنُنَبِّئَنَّهٗ بِأَمْرِهِمْ هٰذَا﴾: وإنما أوحى إليه ليؤنس في الظلمة والوحشة، ويبشر بما يؤول  
 إليه أمره، ومعناه: لتتخلصن مما أنت فيه، ولتحدثن إخوانك بما فعلوا بك، ﴿وَهُمْ لَا  
 يَشْعُرُونَ﴾: أنك يوسف؛ لعلّ شأنك وكبرياء سلطانك، وبعد حالك عن أوهامهم، ولطول  
 العهد المبدّل للهيئات والأشكال، وذلك أنهم حين دخلوا عليه ممتازين فعرفهم وهم له  
 منكرون، دعا بالصواع فوضعه على يده، ثم نقره فظنّ فقال: إنه ليخبرني هذا الجام أنه  
 كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف، وكان يدينه دونكم، وأنكم انطلقتم به وألقيتموه في  
 غيابة الجب، وقلتم لأبيكم: أكله الذئب، وبعتموه بثمان بخس، ويجوز أن يتعلق: (وهم  
 لا يشعرون) بقوله: (وأوحينا): على أننا أنسناه بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة، وهم لا  
 يشعرون ذلك ويحسبون أنه مرهق مستوحش لا أنس له، وقرئ: «لننبئهم»: بالنون على  
 أنه وعيد لهم، وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: متعلق بأوحينا لا غير.

﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ

مَنْعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٦٧﴾﴾

وعن الحسن: «عشيًا»: على تصغير عشي، يقال: لقيته عشيًا وعشيانًا<sup>(١)</sup>، وأصيلًا وأصيلانًا، ورواه ابن جنى: «عشي»: بضم العين والقصر، وقال: «عشوا» من البكاء، وروي أن امرأة حاکمت إلى شريح فبكت، فقال له الشعبي: يا أبا أمية، أما تراها تبكي؟ فقال: قد جاء إخوة يوسف يبكون وهم ظلمة: ولا ينبغي لأحد أن يقضي إلا بما أمر أن يقضي به من السنة المرضية، وروي أنه لما سمع صوتهم<sup>(٢)</sup> فرع، وقال: مالكم يا بني؟ هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا: لا، قال: فمالكم وأين يوسف؟ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ أي: نتسابق، والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل، والارتماء والترامي، وغير ذلك، والمعنى: نتسابق في العدو أو في الرمي، وجاء في التفسير: نتضل، ﴿يُؤْمِنُونَ لَنَا﴾: بمصدق لنا، ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾: ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة؛ لشدة محبتك ليوسف، فكيف وأنت سيء الظن بنا، غير واثق بقولنا؟

﴿رَجَاءُ وَعَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿بَدِمٍ كَذِبٍ﴾: ذي كذب، أو وصف بالمصدر مبالغة، كأنه نفس الكذب وعينه، كما يقال للكذاب: هو الكذب بعينه، والزور بذاته؛ ونحوه [من الطويل]:

..... فَهِنَّ بِهٖ جُودٌ وَأَنْتُمْ بِهٖ بُخْلٌ<sup>(٣)</sup>

وقرى: «كذبًا»: نصبًا على الحال، بمعنى: جاؤوا به كاذبين، ويجوز أن يكون مفعولاً له، وقرأت عائشة - رضي الله عنها -: «كذب»؛ بالبدال غير المعجمة، أي: كدر، وقيل: «طرى»، وقال ابن جنى: أصله من الكذب، وهو الفوف البياض<sup>(٤)</sup>، الذي يخرج على أظفار الأحداث، كأنه دم قد أثر في قميصه، روي أنهم ذبحوا سخلة ولطحوه بدمها، وزل

(١) قوله: «يقال: لقيته عشيًا وعشيانًا» وهذا لو حذف نونه صار عشيًا، كقراءة الحسن (ع).

(٢) قال محمود: «روي أنه لما سمع أصواتهم قال: يا بني، هل أصابكم في غنمكم شيء؟ قالوا لا... إلخ» قال أحمد: وقواه على اتهامهم أنهم ادعوا الوجه الخاص الذي خاف يعقوب عليه السلام هلاكه بسببه أولاً أكل الذئب إياه، فاتهمهم أن يكونوا تلقفوا العذر من قوله لهم ﴿وَأَنفَأُ أَنْ يَأْكُلَهُ الْذَّبُّ﴾ وكثيراً ما الأعداء الباطلة من قلق في المخاطب المعتذر إليه، حتى كان بعض أمراء المؤمنين يلقنون السارق الإنكار.

(٣) ينظر: أساس البلاغة (جود).

(٤) قوله: «وهو الفوف البياض» عبارة الصحاح: الفوف البياض الذي يكون في أظفار الأحداث اهـ، فجعل البياض خبيراً عن الفوف وتفسيراً له، فلعله هنا: أي البياض (ع).

عنهم أن يمزقوه، وروري أن يعقوب لما سمع بخبر يوسف، صاح بأعلى صوته، وقال: أين القميص؟ فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص، وقال: تالله، ما رأيت كالأيوم ذنباً أحلم من هذا، أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه، وقيل: كان في قميص يوسف ثلاث آيات: كان دليلاً ليعقوب على كذبهم، وألقاه على وجهه فارتد بصيراً، ودليلاً على براءة يوسف حين قدّم من دبر.

فإن قلت: (على قميصه) ما محله؟

قلت: محله: النصب على الظرف؛ كأنه قيل: وجاءوا فوق قميصه بدم، كما تقول: جاء على جماله بأحمال.

فإن قلت: هل يجوز أن تكون حالاً متقدمة؟

قلت: لا؛ لأنّ حال المجرور لا تتقدم عليه <sup>(١)</sup> ﴿سَوَّلَتْ﴾: سهلت من السول وهو الاسترخاء، أي: سهلت، ﴿لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْثَل﴾: عظيماً ارتكبتموه من يوسف، وهونته في أعينكم، استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص، أو أوحى إليه بأنهم قصدوه، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: خير أو مبتدأ؛ لكونه موصوفاً، أي: فأمرني صبر جميل، أو فصبر جميل أمثل، وفي قراءة أبي: «فصبراً جميلاً»، والصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع: «أنه الذي لا شكوى فيه إلى الخلق» (٧٧٧)؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿إنما أشكو بثي

٧٧٧ - أخرجه الطبري (١٦٣/٧) رقم (١٨٨٣، ١٨٨٤).

قال الحافظ:

أخرجه الطبري من طريق حيان بن أبي حنثة قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿فصبر جميل﴾، =

(١) قال السمين الحلبي: وهذا الذي ردّ به الزمخشري أحد قولي النحاة، وقد صحح جماعة جوازه وأنشدوا [من الطويل]:

فَلَنْ يَذْهَبُوا فَرْغاً بِقَشَلِ جِبَالِ

وقال الشيخ: «ولا يساعد المعنى على نصب «عَلَى» على الظرف بمعنى: فوق، لأن العامل فيه إذ ذاك «جاءوا» وليس الفرق ظرفاً لهم، بل يستحيل أن يكون ظرفاً لهم». وهذا الردّ هو الذي رددت به على الحوفي قوله: إن «عَلَى» متعلقة بـ«جاءوا». ثم قال الشيخ: وأما المثال الذي ذكره الزمخشري، وهو: «جاء على جماله بأحمال» فيمكن أن يكون ظرفاً للجائي، لأنه يمكن الظرف فيه باعتبار تبدله من جَمَلٍ إلى جَمَلٍ، ويكون بأحمال في موضع الحال، أي: مضموماً بأحمال. انتهى. الدر المصون.

وحزني إلى الله ﴿يوسف: ٨٦﴾، وقيل: لا أعيشكم على كآبة الوجه، بل أكون لكم كما كنت، وقيل: سقط حاجباً يعقوب على عينيه، فكان يرفعهما بعصا، فقيل له: ما هذا؟ فقال: طول الزمان، وكثرة الأحزان، فأوحى الله تعالى إليه: يا يعقوب، أتشكوني؟ قال: يا رب؛ خطيئة، فاغفرها لي، ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾ أي: أستعينه ﴿عَلَيْكَ﴾: احتمال ﴿مَا نَصِفُونَ﴾: من هلاك يوسف، والصبر على الرزء فيه.

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ ۗ مَا يَمَّا يَمْلُوكَ﴾

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: رفقة تسير من قبل مدين إلى مصر؛ وذلك بعد ثلاثة أيام من إلقاء يوسف / ١٦٧ في الجب، فأخطوا الطريق فنزلوا قريباً منه، وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن إلا للرعاة، وقيل: كان ماؤها ملحاً، فعذب حين ألقى فيه يوسف، ﴿فَأَرْسَلُوا﴾: رجلاً يقال له: مالك بن ذعر الخزاعي، ليطلب لهم الماء، والوارد: الذي يرد الماء ليستقي للقوم، ﴿يَبُشْرَىٰ﴾: نادى البشري، كأنه يقول: تعالي، فهذا من آونتك، وقرئ: «يا بشراي»: على إضافتها إلى نفسه، وفي قراءة الحسن وغيره: «يا بشري»: بالياء مكان الألف، جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الإضافة، وهي لغة للعرب مشهورة سمعت أهل السروات يقولون في دعائهم: يا سيدي ومولّي، وعن نافع: «يا بشراي»: بالسكون، وليس بالوجه؛ لما فيه من التقاء الساكنين على غير حذّه، إلا أن يقصد الوقف، وقيل: لما أدلى دلوه، أي: أرسلها في الجب، تعلق يوسف بالحبل، فلما خرج، إذا هو بغلام أحسن ما يكون، فقال: يا بشراي، ﴿هَذَا غُلْمٌ﴾، وقيل: ذهب به، فلما دنا من أصحابه، صاح بذلك يبشرهم به، ﴿وَأَسْرُوهُ﴾: الضمير: للوارد وأصحابه: أخفوه من الرفقة، وقيل: أخفوا أمره ووجدانهم له في الجب، وقالوا لهم: دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر، وعن ابن عباس أن الضمير لإخوة يوسف (٧٧٨). وأنهم قالوا للرفقة: هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا، وسكت يوسف؛ مخافة أن يقتلوه، و﴿بَضْعَةَ﴾: نصب على الحال، أي: أخفوه متاعاً للتجارة، والبضاعة: ما بضع من المال للتجارة، أي: قطع ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِ ۗ مَا يَمَّا يَمْلُوكَ﴾: لم يخف عليه أسرارهم، وهو وعيد لهم؛ حيث استبضعوا ما ليس لهم، أو: والله عليهم بما يعمل إخوة يوسف بأبيهم وأخيه من سوء الصنيع.

-----  
= قال: صبر لا شكوى فيه. من بث لم يصبر؛ هذا مرسل. انتهى.

٧٧٨ - أخرجه الطبري (١٦٦/٧) رقم (١٨٩٠٨).

## ﴿وَشَرُّهُ بِشَمِّ بَحْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾

﴿وَشَرُّهُ﴾: وباعوه، ﴿بِشَمِّ بَحْسٍ﴾: مبخوس ناقص عن القيمة نقصاناً ظاهراً، أو زيف ناقص العيار، ﴿دَرَاهِمَ﴾: لا دنانير، ﴿مَعْدُودَةٍ﴾: قليلة<sup>(١)</sup>، تعدّ عدداً، ولا توزن؛ لأنهم كانوا لا يزنون إلا ما بلغ الأوقية، وهي الأربعون، ويعدون ما دونها، وقيل: للقليلة معدودة؛ لأن الكثيرة يمتنع من عدّها؛ لكثرتها، وعن ابن عباس: كانت عشرين درهماً (٧٧٩)، وعن السدي: اثنين وعشرين (٧٨٠). ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾: ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن<sup>(٢)</sup>؛ لأنهم التقطوه، والملتقط للشيء: متهاون به لا يبالي بما باعه، ولأنه يخاف أن يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من أول مساوم بأوكس الثمن، ويجوز أن يكون معنى: (وشروه): واشتروه، يعني: الرفقة من إخوته، ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾؛ لأنهم اعتقدوا أنه آبق، فخافوا أن يخطروا بمالهم فيه، ويروى أن إخوته اتبعوهم يقولون لهم: استوثقوا منه لا يآبق، وقوله: (فيه): ليس من صلة (الزاهدين)؛ لأن الصلة لا تتقدّم على الموصول؛ ألا تراك لا تقول: وكانوا زیداً من الضاربين؛ وإنما هو بيان، كأنه قيل: في أي شيء زهدوا؟ فقال: زهدوا فيه.

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأَمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا  
وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

﴿الَّذِي اشْتَرَاهُ﴾: قيل: هو قطفير أو أطفير، وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر، والملك يومئذ: الريان بن الوليد، رجل من العماليق، وقد آمن بيوسف، ومات في حياة يوسف، فملك بعده قابوس بن مصعب، فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى، واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة، وقام في منزله ثلاث عشرة سنة، واستوزره ريان بن الوليد وهو

٧٧٩ - أخرجه الطبري (١٧٠/٧) رقم (١٨٩٣٥).

٧٨٠ - أخرجه الطبري (١٧٠/٧) رقم (١٨٩٣٦) بنحوه.

(١) قال محمود: «المعدودة كناية عن القليلة... إلخ» قال أحمد: ومن التعبير عن القلة بالعدد: الدعوة الماثورة على الكفرة: «اللهم أحصهم عدداً، واستأصلهم بدأً ولا تبق منهم أحداً» فالمدعو به وإن كان إحصاؤهم عدداً في الظاهر، إلا أن هذا ليس مراداً لأن الله تعالى أحصى كل شيء عدداً وأحاط به علماً، فلا بد من مقصود وراء ذلك وهو لازم العدد وذلك القلة، فلما كان كل قليل معدوداً وكل كثير غير معدود، دعى عليهم بالقلة وعبر عنها بلازمها وهو الإحصاء. والله أعلم.

(٢) قوله: «فيبيعه بما طف من الثمن» أي قل. وفي الصحاح: الطفيف القليل (ع).

ابن ثلاثين سنة، وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة، وقيل: كان الملك في أيامه فرعون موسى، عاش أربعمئة سنة؛ بدليل قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [غافر: ٣٤]، وقيل: فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف، وقيل: اشتراه العزيز بعشرين ديناراً وزوجي نعل وثوبين أبيضين، وقيل: أدخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه؛ حتى بلغ ثمنه وزنه مسكاً وورقاً وحريراً، فابتاعه قطفير بذلك المبلغ، ﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾: اجعلي منزله ومقامه عندنا كريماً، أي: حسناً مرضياً؛ بدليل قوله: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [يوسف: ٢٣]، والمراد: تفقديه بالإحسان وتعهدية بحسن الملكة، حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا، ساكنة في كنفنا، ويقال للرجل: كيف أبو مثواك وأم مثواك لمن ينزل به من رجل أو امرأة، يراد: هل تطيب نفسك بثوائك عنده، وهل يراعي حق نزولك به، واللام في (لامرأته): متعلقة بقال، لا باشره، ﴿عَسَى أَنْ يَفْعَمَا﴾: لعله إذا تدرّب وراض الأمور وفهم مجاريها، نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله، فينفعنا فيه بكفائته وأمانته، أو نتبناه ونقيمه مقام الولد، وكان قطفير عقيماً لا يولد له، وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك، وقيل: أفرس الناس ثلاثة: العزيز حين تفرس في يوسف، فقال لامرأته: ﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَفْعَمَا﴾ [يوسف: ٢٣]، والمرأة التي أتت موسى وقالت لأبيها: ﴿يَتَأْتِي أَسْتَجِرَّةً﴾ [القصص: ٢٦] وأبو بكر حين استخلف عمر - رضي الله عنهما - وروي أنه سأله عن نفسه، فأخبره بنسبه فعرفه، ﴿وَكَذَلِكَ﴾: الإشارة إلى ما تقدّم من إنجائه، وعطف قلب العزيز عليه، والكاف: منصوب تقديره: ومثل ذلك الإنجاء والعطف، ﴿مَكْنَأً﴾: له، أي: كما أنجيناها وعطفنا عليه العزيز؛ كذلك مكنا له في أرض مصر، وجعلناه ملكاً يتصرف فيها بأمره ونهيه، ﴿وَلَتُعَلِّمُنَّ مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾: كان ذلك الإنجاء والتمكين؛ لأنّ غرضنا ليس إلا ما تحمد عاقبته من علم وعمل، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ﴾: على أمر نفسه: لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضي، أو على أمر يوسف يدبره لا يكله إلى غيره، قد أراد إخوته به ما أرادوا، ولم يكن إلا ما أراد الله ودبره، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن الأمر كله بيد الله.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ؕ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢٢)

قيل في الأشد: ثماني عشرة، وعشرون، وثلاث وثلاثون، وأربعون، وقيل: أقصاه ثنتان وستون، ﴿حُكْمًا﴾: حكمة، وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه، وقيل: حكماً بين الناس وفقهاً، ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: تنبيه على أنه كان محسناً في عمله، متقياً/ ١٦٧ ب في عنفوان أمره، وأن الله آتاه الحكم والعلم جزاء على إحسانه، وعن الحسن:

من أحسن عبادة ربه في شيبته، آتاه الله الحكمة في اكتهاله.

﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

المرادة: مفاعلة، من راد يروود إذا جاء وذهب، كأن المعنى: خادعته عن نفسه، أي: فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج من يده، يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه، وهي عبارة عن التحمل لمواقفته إياها، ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ قيل: كانت سبعة، وقرئ: (هيت): بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء، وبتاؤه كبناء أين، وعيط، وهيت كجبر، وهيت كحيث، وهنت بمعنى: تهيأت، يقال: هاء يهيه، كجاء تجئ: إذا تهيأ، وهيت لك، واللام من صلة الفعل، وأما في الأصوات فليليان<sup>(١)</sup>؛ كأنه قيل: لك أقول هذا، كما تقول: هلم لك، ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾: أعوذ بالله معاذاً، ﴿إِنَّهُ﴾: إن الشأن والحديث، ﴿رَبِّي﴾: سيدي ومالكي، يريد قطفير، ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾: حين قال لك: أكرمي مثواه، فما جزاؤه أن أخلفه في أهله سوء الخلافة وأخونه فيهم، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: الذين يجازون الحسن بالسيء، وقيل: أراد الزناة؛ لأنهم ظالمون أنفسهم، وقيل: أراد الله تعالى؛ لأنه مسبب الأسباب.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِئِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾

هم بالأمر: إذا قصده وعزم عليه؛ قال [من الطويل]:

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَالْتُهُ<sup>(٢)</sup>

(١) قوله: «وأما في الأصوات فليليان» في الصحاح: هيت به وهوت به، أي صاح به ودعاه. وفيه أيضاً قولهم «هيت لك» أي هلم لك وفيه. هلم يا رجل - بفتح الميم - بمعنى تعال (ع).

(٢) لعمر بن ضابئ البرجمي، دخل على عثمان وهو مقتول فوطئ بطنه وكسر ضلعه وقال: عزمت على قتل عثمان ولم أقتله، وكدت أن أفعل وليتني قتلته. وكنت عن ذلك بقوله: «تركت على عثمان تبكي حلالته» وهو من باب التنازع. وأصله: تركت على عثمان حلالته تبكي فجعل حلالته فاعلاً. وحذف مفعول تركت الأول لعلمه من الكلام، ولأنه فضلة وهي لا تضم في هذا الباب. والمعنى ليتني قتلته نصرت نساءه تبكي عليه، ودخل هذا الرجل على الحجاج وقال: يا أمير المؤمنين: أنا شيخ ضعيف، وخرج اسمي في هذا البعث، فأقبل ابني بديلاً عني فقبله منه وخرج فقال عتبة بن سعيد: أيها الأمير، هذا هو الذي فعل بعثمان كذا وكذا، فقال: ردوه علي، فقال له: أيها الشيخ، هلا بعثت إلى عثمان أمير المؤمنين بديلاً يوم الدار؟ إن في تلك صلاحاً، يا حرسى، اضربا عنقه. أمر الحرس بقتله وخاطبه خطاب المشى على لغة الحرس الذين نسب المخاطب إليهم هذا. وقيل: =

ومنه قولك: لا أفعل ذلك ولا كيداً ولا همّاً، أي: ولا أكاد أن أفعله كيداً، ولا أعم بفعله همّاً: حكاة سيويه، ومنه: الهمام، وهو الذي إذا همّ بأمر أمضاه ولم يتكل عنه، وقوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْمَئِذٍ﴾ معناه: ولقد همت بمخالطته، ﴿وَهُمْ يَهَايَ﴾: وهم بمخالطتها، ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾: جوابه محذوف، تقديره: لولا أن رأى برهان ربه لخالطها؛ فحذف؛ لأنّ قوله: ﴿وَهُمْ يَهَايَ﴾ يدل عليه؛ كقولك: هممت بقتله لولا أنني خفت الله، معناه: لولا أنني خفت الله.

فإن قلت: كيف جاز على نبي الله أن يكون منه هم بالمعصية وقصد إليها؟

قلت: المراد أنّ نفسه مالت إلى المخالطة، ونازعت إليها عن شهوة الشباب وقرمه<sup>(١)</sup>؛ ميلاً يشبه الهم به والقصد إليه، وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم، وهو يكسر ما به ويردّه بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم، ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى همّاً لشدته، لما كان صاحبه ممدوحاً عند الله بالامتناع؛ لأن استعظام الصبر على الابتلاء، على حسب عظم الابتلاء وشدته، ولو كان همه كهمها عن عزيمة، لما مدحه الله بأنه من عباده المخلصين، ويجوز أن يريد بقوله: (وهمّ بها): وشارف أن يهيم بها، كما يقول الرجل: قتلته لو لم أخف الله، يريد مشاركة القتل ومشافهته<sup>(٢)</sup>، كأنه شرع فيه.

فإن قلت: قوله: (وهمّ بها): داخل تحت حكم القسم في قوله: (ولقد همت به): أم هو خارج منه؟

قلت: الأمران جائزان، ومن حق القارئ إذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاماً برأسه أن يقف على قوله: (ولقد همت به)، وبيدئ قوله: ﴿وَهُمْ يَهَايَ لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾، وفيه - أيضاً - إشعار بالفرق بين الهمين.

فإن قلت: لم جعلت جواب «لولا» محذوفاً يدل عليه: «همّ بها»، وهلا جعلته هو الجواب مقدماً؟

= إن القصة مع ضابئ نفسه، وإن عثمان كان حبسه في هجوه بني نهمشل، فلما قتل عثمان أفلت وفعل به ذلك.

ينظر: حماسة البحري ص ١١، خزانة الأدب (٩/٣٢٣، ٣٢٧)، الشعر والشعراء ١/٣٥٨، لسان العرب (قير)، معاهد التنصيص (١/١٨٧).

(١) قوله: «قرمه» أي شدة شهرته، أفاده الصحاح.

(٢) قوله: «مشافهته» لعله: ومشابته.

قلت: لأن لولا لا يتقدم عليها جوابها، من قبل أنه في حكم الشرط، وللشرط صدر الكلام، وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة، ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض، وأما حذف بعضها إذا دلّ الدليل عليه فجائز.

فإن قلت: فلم جعلت «لولا» متعلقة «بهم بها» وحده، ولم تجعلها متعلقة بجملته قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَهُوءُ وَهَمَّ بِهَا﴾؛ لأن الهم لا يتعلق بالجواهر، ولكن بالمعاني، فلا بد من تقدير المخالطة، والمخالطة لا تكون إلا من اثنين معاً، فكأنه قيل: ولقد هما بالمخالطة لولا أن منع مانع أحدهما؟

قلت: نعم ما قلت، ولكن الله - سبحانه وتعالى - قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل؛ حيث قال: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَهُوءُ وَهَمَّ بِهَا﴾، فكان إغفاله إلغاء له، فوجب أن يكون التقدير: ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها، على أن المراد بالمخالطين توصلها إلى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه، وتوصله إلى ما هو حظها من قضاء شهوته منها، «لولا أن رأى برهان ربه»، فترك التوصل إلى حظها من الشهوة؛ فلذلك كانت: «لولا»: حقيقة بأن تعلق بـ «هم بها» وحده، وقد فسر هم يوسف بأنه حل الهميان، وجلس منها مجلس المجمع، وبأنه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الأربع، وهي مستلقية على قفاها، وفسر البرهان بأنه سمع صوتاً: إياك وإياها، فلم يكثر له، فسمعه ثانياً فلم يعمل به، فسمع ثالثاً: أعرض عنها، فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضاً على أناملته، وقيل: ضرب بيده في صدره، فخرجت شهوته من أنامله، وقيل: كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولداً إلا يوسف؛ فإنه ولد له أحد عشر ولداً من أجل ما نقص من شهوته حين هم، وقيل: صيح به: يا يوسف، لا تكن كالطائر: كان له ريش، فلما زنى قعد لا ريش له، وقيل: بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم، مكتوب فيها: ﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ الْحَفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينٍ ﴿١١﴾﴾، فلم ينصرف، ثم رأى فيها: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾، فلم ينته، ثم رأى فيها: ﴿وَأَنْقُؤا يَوْمًا تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، فلم ينجع فيه، فقال الله لجبريل - عليه السلام -: أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة، فانحط جبريل وهو يقول: يا يوسف، أتعلم عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء؟ وقيل: رأى تمثال العزيز، وقيل: قامت المرأة إلى صنم كان هناك فسترته وقالت: أستحي منه أن يرانا، / ١٦٨ أ فقال يوسف: استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر، ولا أستحي من السميع البصير، العليم بذوات الصدور، وهذا ونحوه مما يورده أهل الحشو والجبر<sup>(١)</sup> الذين دينهم بهت الله تعالى وأنبيائه، وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل، ولو

(١) قوله: «مما يورده أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله تعالى» يريد بهم أهل السنة، ويريد بأهل =

وجدت من يوسف - عليه السلام - أدنى زلة، لتعيت عليه، وذكرت توبته واستغفاره، كما تعيت على آدم زلته، وعلى داود، وعلى نوح، وعلى أيوب، وعلى ذي النون، وذكرت توبتهم واستغفارهم، كيف وقد أثنى عليه وسمي مخلصاً، فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدحض، وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم، ناظراً في دليل التحريم ووجه القبح، حتى استحق من الله الثناء فيما أنزل من كتب الأولين، ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصادق لها، ولم يقتصر إلا على استيفاء قصته، وضرب سورة كاملة عليها، ليجعل له لسان صدق في الآخرين، كما جعله لجده الخليل إبراهيم - عليه السلام - وليقتدي به الصالحون إلى آخر الدهر في العفة، وطيب الإزار، والتثبت في مواقف العثار، فأخزى الله أولئك في إيرادهم ما يؤدي إلى أن يكون إنزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين ليقندي بنبي من أنبياء الله، في القعود بين شعب الزانية، وفي حل تكته للوقوع عليها، وفي أن ينهيه ربه بثلاث كرات، ويصاح به من عنده ثلاث صحاح بقوارع القرآن، وبالتوبيخ العظيم، وبالوعيد الشديد، وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير أثنائه، وهو جائم في مريضه لا يتحلل، ولا ينتهي، ولا ينتبه، حتى يتداركه الله بجبريل وبإجباره، ولو أن أوقع الزناة، وأشطرهم، وأحدهم حدقة، وأصلحهم وجهاً لقي بأدنى ما لقي به نبي الله مما ذكروا، لما بقي له عرق ينض ولا عضو يتحرك، فيا له من مذهب ما أفحشه! ومن ضلال ما أبينه، ﴿كَذَلِكَ﴾ الكاف: منصوب المحل، أي: مثل ذلك التثبيت ثبته، أو مرفوعه، أي: الأمر مثل ذلك، ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّوَّةَ﴾: من خيانة السيد، ﴿وَالْفَحْشَةَ﴾: من الزنا، ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾: الذين أخلصوا دينهم لله، وبالفتح، الذين أخلصهم الله لطاعته بأن عصمهم، ويجوز أن يريد بالسوء: مقدمات الفاحشة، من القبلة والنظر بشهوة، ونحو ذلك، وقوله: ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ معناه: بعض عبادنا، أي: هو مخلص من جملة المخلصين، أو هو ناشئ منهم؛ لأنه من ذرية إبراهيم الذين قال فيهم: ﴿إِنَّا أَنْخَلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾ [ص: 46].

﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَْا سَيْدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٥) قَالَ هِيَ زَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ

= العدل المعتزلة. وبهت الشخص: نسه إلى قبيح لم يفعله، ولولا أن ذلك دائر بين السلف لما أوردوه (ع).

كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَن هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذُنُوبِكِ إِنَّكَ كُنْتَ  
مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾: وتسابقا إلى الباب، على حذف الجواز وإيصال الفعل؛ كقوله:  
﴿وَأَخَذَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٥] على تضمين: «استبقا» معنى: «ابتدرا»، نفر منها  
يوسف، فأسرع يريد الباب ليخرج، وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج.  
فإن قلت: كيف وحد الباب، وقد جمعه في قوله: ﴿وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾؟

قلت: أراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص من العار، فقد روى  
كعب أنه لما هرب يوسف، جعل فراش القفل<sup>(١)</sup> يتناثر ويسقط حتى خرج من الأبواب،  
﴿وَقَدَّتْ فَيَصِمُّ مِنْ دُبُرٍ﴾ اجتذبتته من خلفه فانقد، أي: انشق حين هرب منها إلى الباب  
وتبعته تمنعه، ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾: وصادفا بعلها وهو قطفير، تقول المرأة لبعلها: سيدي،  
وقيل: إنما لم يقل: سيدهما؛ لأن ملك يوسف لم يصح، فلم يكن سيداً له على الحقيقة،  
قيل: ألفياه مقبلاً: يريد أن يدخل، وقيل: جالساً مع ابن عمّ للمرأة، لما اطلع منها زوجها  
على تلك الهيئة المريبة، وهي مغلظة على يوسف إذ لم يؤاتها<sup>(٢)</sup>، جاءت بحيلة جمعت  
فيها غرضيها، وهما: تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف، وتخويفه  
طمعاً في أن يؤاتها؛ خيفة منها ومن مكرها، وكرهاً لما أيست من مؤاتاته طوعاً؛ ألا ترى  
إلى قولها: ﴿وَلَيْنَ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُوا لَيَسْجُنَنَّ﴾ [يوسف: ٣٢]، و«ما»: نافية، أي: ليس جزاؤه  
إلا السجن، ويجوز أن تكون استفهامية، بمعنى: أي شيء إلا السجن؟ كما تقول: من في  
الدار إلا زيد.

فإن قلت: كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف، وإنه أراد بها سوءاً؟<sup>(٣)</sup> قلت:

- (١) قوله: «فراشة القفل» وما ينشب فيه. يقال أقفل فأفرش (ع).
- (٢) قوله: «إذ لم يؤاتها» في الصحاح: وتقول آتيته على ذلك الأمر مؤاتاة، إذا وافقته وطاعته. والعامية  
تقول: واتيته (ع).
- (٣) قال محمود: «إن قلت: لم قالت ما قالت غير مصرحة بذكر يوسف... إلخ» قال أحمد: أو  
أظهرت بهذا الإجمال والحياء والحشمة أن تقول لبعلها: هذا أراد بي سوءاً ولذلك أيضاً كنت بالسوء  
عما أضمرت من الهناة مبالغفة في المكر والكيد، وإبعاد للتهمة عنها بتوقي ما يشعر منها بالتبرج  
والقحة، وعلى الضد من مقصودها وإن وافق ملاحظتها بحشمة الإجمال: قول ابنة شعيب تمدح  
موسى عليه السلام فيما حكى الله عنها ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَجِرَّتِ الْقَوْمُ  
الْأَمِينُ﴾ ﴿٣٦﴾ ولم تقل: إنه قوي أمين، حياء من التعيين وحشمة وخفراً، ولكن هذه إنما بعثها على  
هذا الأدب شيمة الحياء. وامرأة العزيز إنما بعثها على هذا الأدب شيمة الحياء. وامرأة العزيز إنما  
بعثها عليه التكلف والاستعمال لذلك الغرض الفاسد من المكر، والله أعلم.

قصت العموم، وأن كل من أراد بأهلك سوءاً فحقه أن يسجن أو يعذب؛ لأن ذلك أبلغ فيما قصده من تخويف يوسف، وقيل: العذاب الأليم: الضرب بالسياط، ولما أغرت به وعرضته للسجن والعذاب، وجب عليه الدفع عن نفسه، فقال: ﴿هِيَ زَوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾، ولولا ذلك لكتم عليها، ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ قيل: كان ابن عم لها؛ إنما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها؛ لتكون أوجب للحجة عليها، وأوثق لبراءة يوسف، وأنفى للتهمة عنه، وقيل: هو الذي كان جالساً مع زوجها لدى الباب، وقيل: كان حكيماً يرجع إليه الملك ويستشيره، ويجوز أن يكون بعض أهلها كان في الدار، فبصر بها من حيث لا تشعر، فأغضبته الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق، وقيل: كان ابن خال لها صبياً في المهد، وعن النبي ﷺ: «تَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ وَهَمْ صِغَارٌ: ابْنُ مَاشِطَةَ فِرْعَوْنَ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَعِيسَى» (٧٨١).

فإن قلت: لم سمي قوله: شهادة، وما هو بلفظ الشهادة؟<sup>(١)</sup>

٧٨١ - أخرجه الحاكم (٤٩٦/٢ - ٤٩٧)، وأحمد (٣١٠/١)، والبخاري (٣٧/١ - ٣٨) رقم (٥٤)، والبيهقي (٣٨٩/٢)، والطبري (١٩١/٧) رقم (١٩١٠٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٦/٤) عن ابن عباس.

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة.

أخرجه الحاكم (٥٩٥/٢).

قال الحافظ:

أخرجه الحاكم وابن جبان وأحمد وابن أبي شيبة والبخاري وأبو يعلى. والطبري والبيهقي في السادس عشر من الشعب، كلهم من رواية حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - رفعه: «لما أسرى بي مرت رائحة طيبة - الحديث» فيه قصة الماشطة، وفي آخره قال رسول الله ﷺ: «تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ أَرْبَعَةٌ، وَهَمْ صِغَارٌ: هَذَا، وَشَاهِدُ يُوسُفَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ»، وفي الحاكم أيضاً من رواية مسلم بن إبراهيم عن جريج بن حازم عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رفعه: «لم يتكلم في المهد إلا أربعة وهم صغار: عيسى، وشاهد يوسف. وصاحب جريج، وابن ماشطة فرعون»، وذكره بلفظ ثلاثة. وذكر الثالث ابن المرأة التي ألقيت في النار. فخشيت على ولدها فكلمها» وفي الصحيحين من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعاً: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى ابن مريم وصاحب جريج وصبي كان يرضع فمر رجل راكب على دابة...» الحديث اقتصر الطبري على هذا الأخذ فلم يصب، وبهذا الاعتبار صاروا خمسة، وروى الثعلبي عن الضحاك: أنهم ستة زادهم يحيى بن زكريا. انتهى.

(١) قال محمود: «إن قلت لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة... إلخ؟» قال أحمد: مهما قدره من ذلك في اتباعه لها، يحتمل مثله في اتباعها له، فإنها إنما تقد قميصه من قبل بتقدير أن يكون اجتذبتها حتى صارا متقابلين فدفعته عن نفسها، وهذا بعينه يحتمل إذا كانت هي التابعة أن تكون اجتذبت حتى صارا متقابلين، ثم جذبت قميصه إليها من قبل، بل ههنا أظهر؛ لأن الموجب لقد القميص غالباً الجذب لا الدفع.

قلت: لما أدى مؤدى الشهادة في أن ثبت به قول يوسف، وبطل قولها سمي شهادة.

فإن قلت: الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة؟

قلت: لأنها قول من القول، أو على إرادة القول، كأنه قيل: وشهد شاهد، فقال: إن كان قميصه.

فإن قلت: إن دل قد قميصه من دبر على أنها كاذبة وأنها هي التي تبعت واجتذبت ثوبه إليها فقدته، فمن أين دل قدّه من قبل على أنها صادقة، وأنه كان تابعها؟ قلت: من وجهين:

أحدهما: أنه إذا كان تابعها وهي دافعتة عن نفسها قدت قميصه/ ١٦٨ ب من قدّامه بالدفع.

والثاني: أن يسرع خلفها ليلحقها فيتعثّر في مقدم قميصه فيشقّه<sup>(١)</sup>، وقرئ: «من

(١) عاد كلامه. قال: «والثاني أن يسرع خلفها ليلحقها فيتعثّر في مقدم قميصه فينقده» قال أحمد: وهذا بعينه محتمل لو كانت هي التابعة وهو فار منها فانقده قميصه في إسرعه للفرار، والله أعلم. فليس كلام الزمخشري في هذا الفصل بذلك. والحق - والله ولي التوفيق - أن الشاهد المذكور إن كان صيباً في المهد كما ورد في بعض الحديث، فالآية في مجرد كلامه قبل أوّانه، حتى لو قال: صدق يوسف وكذبت، لكفى برهاناً على صدقه عليه السلام، كما كان مجرد إخبار عيسى عليه السلام في المهد برهاناً على صدق مريم، فلا تبقى المناسبة بين الأمانة المنصوبة وما رتب عليها؛ لأن العمدة في الدلالة نصبها لا مناسبتها، وإن كان الشاهد بعض أهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر، فأغضب الله ليوسف بالشهادة له وإقامة الحق كما ذكر الزمخشري. فهذا والله أعلم كان من حقه أن يصرح بما رأى فيصدق يوسف ويكذبها، ولكنه أراد أن لا يكون هو الفاضح لها، ووثق بأن انقطاع قميصه إنما كان من دبر فنصبه أمانة لصدقه وكذبها، ثم ذكر القسم الآخر وهو قدّه من قبل، على علم بأنه لم ينقده من قبل حتى ينفي عن نفسه التهمة في الشهادة وقصد الفضيحة، وينصفهما جميعاً فيذكر أمانة على صدقها المعلوم نفيه، كما ذكر أمانة على صدقه المعلوم وجرده، ومن ثم قدم أمانة صدقها على أمانة صدقه في الذكر، إزاحة للتهمة ووثوقاً بأن الأمانة الثانية هي الواقعة، فلا يضره تأخيرها. وهذه اللطيفة بعينها - والله أعلم - هو التي راعاها مؤمن آل فرعون في قوله ﴿وإن يك كاذباً عليه كذبه وإن يك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم﴾ فقدم قسم الكذب على قسم الصدق إزاحة للتهمة التي خشي أن تتطرق إليه في حق موسى عليه السلام، ووثوقاً بأن القسم الثاني وهو صدقه هو الواقع. فلا يضره تأخيره في الذكر لهذه الفائدة. ومن ثم قال ﴿بَعْضَ الَّذِي يَعِدُّكُمْ﴾ ولم يقل: كل ما يعدكم تعريضاً بأنه معهم عليه، وأنه حريص على أن يبخره حقه، وينحو هذا النحو تأخير يوسف عليه السلام لكشف وعاء أخيه؛ لأنه لو بدأ به لعطونا أنه هو الذي أمر بوضع السقاية فيه، والله أعلم. فقصده هذا الشاهد الأمانة الآخرة فقط. والمناسبة فيها محققة. وأما الأمانة الأولى فليست مقصودة، وإنما ذكرها توطئة كما تقدم. فلم يلتمس لها مناسبة جلية صحيحة على اليقين، وإنما هي كالفرض والتقدير والله أعلم. وكأنه قال: إن كان قميصه قد من قبل فهي صادقة. =

قبل، «ومن دبر»: بالضم على مذهب الغايات، والمعنى: من قبل القميص ومن دبره، وأما التنكير، فمعناه: من جهة يقال لها: قبل، ومن جهة يقال لها: دبر، وعن ابن أبي إسحاق أنه قرأ: «من قبل»، و«من دبر»: بالفتح، كأنه جعلهما علمين للجهتين، فمفعلها الصرف؛ للعلمية والتأنيث، وقرئاً<sup>(١)</sup>: بسكون العين.

فإن قلت: كيف جاز الجمع بين: «إن» الذي هو للاستقبال، وبين: «كان»؟

قلت: لأنّ المعنى أن يعلم أنه كان قميصه قد؛ ونحوه كقولك: إن أحسنت إليّ، فقد أحسنت إليك من قبل، لمن يمتن عليك بإحسانه، تريد: إن تمتن عليّ أمتنّ عليك، ﴿لَمَّا رَأَى﴾ يعني: قطفير، وعلم براءة يوسف وصدقه، وكذبها ﴿قَالَ إِنَّهُ﴾: إن قولك: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾<sup>(٢)</sup>: أو إن الأمر، وهو طمعها في يوسف ﴿مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾: الخطاب لها ولأمتها؛ وإنما استعظم كيد النساء؛ لأنه وإن كان في الرجال، إلا أنّ النساء أطف كيداً، وأنفذ حيلة، ولهنّ في ذلك نيقه<sup>(٣)</sup>، ورفق؛ وبذلك يغلبن الرجال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ سَكْرٍ أَنْتَلَّثْتِ فِي الْعَمَقِ﴾ [الفلق: ٤]، والقصريات من بينهنّ معهنّ ما ليس مع غيرهنّ من البوائق<sup>(٤)</sup>، وعن بعض العلماء: أنا أخاف من النساء أكثر ما أخاف من الشيطان؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]، وقال للنساء: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾، ﴿يُوسُفُ﴾: حذف منه حرف النداء؛ لأنه منادى قريب، مفاطن للحديث، وفيه تقريب له، وتلطيف لمحلّه، ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾: الأمر، واكتمه، ولا

لكنه يعلم انتفاء الأمانة المذكورة، فعلق صدقها على محال وهو وجود قده من قبل حالة، فهذا التقرير هو الصواب والحق اللباب، والله الموفق. وأما إن كان الشاهد الحكيم الذي كان الملك يرجع إليه ويستشيره كما ورد في بعض التفاسير، فلا بد من التماس المناسبة في الطرفين لأنها عهدة الحكيم. وأقرب وجه في المناسبة أن قد القميص من دبر دليل على إداره عنها، وقده من قبل دليل على إقباله عليها بوجهه، والله أعلم.

(١) قوله: «وقرئاً» أي: قبل ودبر، قوله: «بسكون العين»: أي الباء.

(٢) قال محمود: «الضمير راجع إلى قولها ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً... إلخ» قال أحمد: وفيما قاله هذا العالم نظر، لأن الآية التي ذكر فيها كيد الشيطان من قول الله تعالى غير محكي. وأما هذه الآية فكيد النساء فيها من قول العزيز، ولكن حكاها الله تعالى عنه فيحتمل حكايته عنه أن يكون تصحيحاً له، ويحتمل أن لا يكون المراد تصويبه، وأيضاً فإن كيد الشيطان مذكور في الآية مقابلاً لكيد الله تعالى، فكان ضعيفاً بالنسبة إليه. ألا ترى أول الآية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ وأيضاً فإن الكيد الذي يتعاطاه النساء وغيرهن مستفاد من الشيطان بوسوسته وتسويله وشواهد الشرع قائمة على ذلك، فلا يتصور حينئذ أن يكون كيدهن أعظم من كيده، والله أعلم.

(٣) قوله: «نيقة» اسم للتأتق في الأمر. أفاده الصحاح (ع).

(٤) قوله: «مع غيرهن من البوائق» أي الدواهي. أفاده الصحاح (ع).

تحدثت به ﴿وَأَسْتَفْرِي﴾ أنت ﴿لِذَلِكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْفَاطِمِيِّينَ﴾ من جملة القوم المتعمدين للذنب. يقال: خطيء، إذا أذنب متعمداً؛ وإنما قال: ﴿مِنَ الْفَاطِمِيِّينَ﴾: بلفظ التذكير؛ تغليظاً للذکور على الإناث، وما كان العزيز إلا رجلاً حليماً، وروي أنه كان قليل الغيرة.

﴿وَقَالَ يَسُوءُ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ. فَذُ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ وَجْدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودْنَهُ عَنْ نَفْسِهِ. فَاسْتَعَصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَاءَ أُمُرِهِ لَيَفْعَلَنَّ لِيََكُونَ مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾

﴿وَقَالَ يَسُوءُ﴾: وقال جماعة من النساء وكن خمساً: امرأة الساقى، وامرأة الخباز، وامرأة صاحب الدواب، وامرأة صاحب السجن، وامرأة الحاجب، والنسوة: اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة؛ ولذلك لم تلحق فعله تاء التأنيث، وفيه لغتان: كسر النون وضمها، ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾: في مصر، ﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾: يردن قطفير، والعزيز: الملك بلسان العرب، ﴿فَتَاهَا﴾: غلامها، يقال: فتاي وفتاتي، أي: غلامي وجاريتي، ﴿شَغَفَهَا﴾: خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل إلى الفؤاد؛ والشغاف: حجاب القلب، وقيل: جلدة رقيقة يقال لها: لسان القلب؛ قال النابغة [من الطويل]:  
وَقَدْ حَالَ هُمْ دُونَ ذَلِكَ وَالْبَجْجِ مَكَانَ الشَّعَافِ تَبْتَغِيهِ الْأَصَابِعُ<sup>(١)</sup>

(١) وقد حال هم دون ذلك والسج وعيد أبي قابوس في غير كنهه  
مكان الشغاف تبتغيه الأصابع  
أتاني ودوني راكش فالضواجع

للنابغة، يعتذر إلى النعمان ملك العرب عما قذفه به الواشون، أي وقد حال هم دون التغزل في المحبوبة وغيره من اللذات «السج» داخل مكان الشغاف. ويروى «ولوح الشغاف» أي كولوجه، والشغاف: داء في القلب جهة اليمين تخرجه الأطباء بأصابعهم، فتبتغيه الأصابع: من صفته على أنه حال منه. وقيل: حجاب القلب، أو جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب، فتبتغيه: صفة للهم، وشبه الأصابع بمن يصح منه الطلب على طريق الممكنة والابتغاء تخييل، ثم إنه شبه الهم المعقول بمحسوس وبالغ في ذلك حتى ادعى أن الأصابع تفتش عليه فلا تجده لشدة ولوجه وكمونه في القلب. أو تلمسه وتريد إخراجه. وبين الهم بقوله: وعيد النعمان أبي قابوس وتهديده حال كونه في غير كنهه وحقيقته، أي: لم يبلغني بكماله. أو لأنه بلا سبب حصل مني، بل افتري الوشاة علي كذباً جاني. ودوني: أي أمامي هذين الموضعين وهما مسافة بعيدة، ومع ذلك أدركني الخوف أو بعد المسافة، دلالة على غضب الملك عليه غضباً شديداً.

ينظر: البيت في ديوانه ٧٩، والعيني ٤٠٩/٣، ومعاني الزجاج ١٠٥/٣، ومجاز القرآن ٣٠٨/١، =

وقرئ: «شعفها»؛ بالعين، من شعف البعير إذا هنا<sup>(١)</sup> فأحرقه بالقطران؛ قال [من الطويل]:

كَمَا شَعَفَ الْمَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي<sup>(٢)</sup> .....

و﴿حَبَّأً﴾: نصب على التمييز، ﴿لَيْفِي صَلَكِلِ ثُبَيْنِ﴾: في خطأٍ وبعُدٍ عن طريق الصواب، ﴿يَمْكِرِهِنَّ﴾: باغتيابهنَّ، وسوءِ قالنهنَّ، وقولهنَّ: امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها، وسمي الاغتياب مكرراً؛ لأنه في خفية وحالي غيبة، كما يخفي الماكر مكره، وقيل: كانت استكتمتهنَّ سرّها فأفشينه عليها، ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾: دعتهنَّ، قيل: دعت أربعين امرأةً منهنَّ الخمس المذكورات، ﴿وَأَعْتَدْتُ لهنَّ مَتَكاً﴾: ما يتكثن عليه من نمارق، قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهنَّ متكثات والسكاكين في أيديهنَّ: أن يدهشنَّ<sup>(٣)</sup> ويبهتن عند رؤيته، ويشغلن عن نفوسهنَّ فتقع أيديهنَّ على أيديهنَّ فيقطعنها؛ لأن المتكى إذا بهت لشيء وقعت يده على يده، ولا يبعد أن تقصد الجمع بين المكر به وبهنَّ، فتضع الخناجر في أيديهنَّ ليقطعن أيديهنَّ، فتبكتهنَّ بالحجة، ولتهول يوسف من مكرها إذا خرج على أربعين نسوة مجتمعات في أيديهنَّ الخناجر، وتوهمه أنهنَّ يشن عليه، وقيل: متكاً: مجلس طعام؛ لأنهم كانوا يتكون للطعام، والشراب، والحديث، كعادة المترفين؛ ولذلك: «نهى أن يأكل الرجل متكاً» (٧٨٢)، وآتتهنَّ السكاكين ليعالجن بها ما يأكلن، وقيل: (متكاً):

٧٨٢ - أخرجه ابن أبي شيبة (١٣٣/٥) رقم (٢٤٤٤٦) من حديث جابر، وللحديث شاهد من حديث ابن مسعود.

= وسقط اللآلئ ٤٨٩، وأمالي القالي ١/٢٠٥، والخزانة ١/٤٣٠، وأدب الكاتب ١١٨، والقرطبي ٥/٢٣٣، والدر المصون ٤/١٧٣، والتاج (شغف).

(١) قوله: «إذا هنا» في الصحاح «هنا البعير» إذا طلبته بالهاء. وهو القطران (ع).

(٢) أتقتلني وقد شغفت فؤادها كما شعف المهنوءة الرجل الطالبي؟

لامرئ القيس، والاستفهام للإنكار والاستبعاد، أو للتعجب. وشعف الجمل: إذا أحرقه بالقطران المغلي على النار، وهناه: دهنه بذلك القطران، فأطلق الشعف وأريد منه مطلق الإحراق، ثم أريد منه الإحراق بالعشق مجازاً مرسلأ ليصح التشبيه في قوله: كما أحرق الإبل المدهونة الداهن لها. وإن كان شغفت بالغين المعجمة فالمعنى: أصبت شغاف قلبها بالحب، وهو حجاب القلب أو لسانه أو حبة سوداء في وسطه، كما شغف: أي أخاف الإبل المدهونة وراع قلبها الرجل الداهن لها. لأنها تخافه في الأول. وقيل: شبه حبها باستلذاذ الإبل لذلك الطلي بعد دهنها به.

ينظر: ديوانه ١٤٢، وشرح ديوان الحماسة ٤/١٦٢٤، المحتسب ١/٣٣٩، والطبري ١٦/٦٧، والقرطبي ٩/١٧٧، وفتح القدير ٣/٢٥، والدر المصون ٤/١٧٣.

(٢) قوله: «يدهشن» أي يتحيرن. أفاده الصحاح.

طعاماً؛ من قولك: اتكأنا عند فلان: طعمنا<sup>(١)</sup>، على سبيل الكناية؛ لأن من دعوته ليظعم عندك، اتخذت له نكأة يتكأ عليها؛ قال جميل [من الخفيف]:

فَظَلَلْنَا بِنِعْمَةٍ وَأَتَكْنَا وَشَرِينَا الْحَلَالَ مِنْ قَلِيلَةٍ<sup>(٢)</sup>

وعن مجاهد: (متكأ): طعاماً يحز حزاً؛ كأن المعنى يعتمد بالسكين؛ لأن القاطع يتكأ على المقطوع بالسكين، وقرئ: «متكأ»: بغير همز، وعن الحسن: «متكأ»: بالمد، لأنه مفتعل؛ وذلك لإشباع فتحة الكاف؛ كقوله [من الوافر]:

..... بِمُنْتَزَاحٍ<sup>(٣)</sup>

= أخرج الطبراني (١٠/١٢٤) رقم (١٠٠٨٧).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

من رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن ابن الزبير عن جابر قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يأكل أحدنا بشماله وبأن يأكل متكأ»، وفي الطبري من حديث ابن مسعود: «نهى رسول الله ﷺ عن صومين وصلاتين ولباسين ومطعمين وبيعتين» ومنكحين - إلى أن قال: وأما المطعمان فإن يأكل الرجل بشماله ويمينه صحيح. وأن يأكل متكأ، إسناده جيد. وله في الأوسط وفي مسند الشاميين من حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تأكل متكأ». ولا تتخط رقاب الناس يوم الجمعة، وأعله ابن جبان في الضعفاء بزريق بن عبد الله رواية عن عمرو بن الأسود عن أبي الدرداء. وفي الباب عن ابن أبي إهاب. أخرج البزار بلفظ: «نهى أن تأكل متكئين». انتهى.

(١) قوله: «طعمنا» لعله «أي طعمنا». (ع)

(٢) لحميد بن ثور. وقيل لجميل بن معمر. وظل يظل من باب علم. يقول: فظللنا في نعمة أو ملتبسين بنعمة. واتكأنا: أصله أو تكأنا فتاؤه الأولى واو: أي اتخذنا متكأ اضطحنا عليه، وشربنا الشراب الحلال يعني النبيذ، من قلله: جمع قلة، وهي الجرة العظيمة. ففي ذكر القليل دلالة على التوسع في الشرب وعدم التحجر فيه.

ينظر: البيت في ديوانه (٦٩)، وشواهد المغني (١٢٦)، وتأويل المشكل (١٨١)، والقرطبي ٩/١٧٨، وروح المعاني ٢/٢٢٨، واللسان (قلل)، والخزانة ٤/١٩٩، وأساس البلاغة ٢/٢٧٣، وشرح شواهد المغني للسيوطي (١٢٦)، والأغاني ٧/٧٩، وشرح شواهد المغني ٥/٢٧٢، والدر المصون، ٤/١٧٤، فتح القدير ٣/٢٣.

(٣) قوله: «بمنتزاح» هو من قول الشاعر:

وأنت من الغوائل حين ترمي وعن ذم الرجال بمنتزاح

والبيت لابن هرمة يرثي ابنه. والغوائل: الحوادث التي تغتال النفوس وتهلكها. ونزح: إذا بعد، والمنتزح: اسم لمكان البعد، وأشبعته فتحته فتولدت منها الألف كقولهم: ينباع في ينبع، وعقرباب في عقرب.

ينظر: ديوانه (٩٢)، الأشباه والنظائر ٢/٣٠، والخصائص ٢/١٠٦، ٣/١٢١، وسر صناعة الإعراب ١/٢٥، ٢/٧١٩، وشرح شواهد الشافية ص ٢٥، ولسان العرب (ترج)، والمحتسب ١/١١٦، ٣٤٠، خزنة الأدب ٧/٥٥٧، والدر المصون ٢/٢٠٥.

بمعنى: بمنتزح؛ ونحوه [من الكامل]:

يَنْبَعُ..... (١)

بمعنى: ينبع، وقرئ: «مُنْتَكَاً»: وهو الأترج؛ وأنشد [من الطويل]:

فَأَهْدَتْ مَشْكَةً لِبَنِي أَبِيهَا تَحُبُّ بِهَا الْعِثْمُثَمَةَ الْوَقَاحُ (٢)

وكانت أهدت أترجة على ناقة، وكأنها الأترجة التي ذكرها أبو داود في سننه أنها شقت بنصفين، وحملها كالعديلين على جمل، وقيل: الزماورد (٣)، وعن وهب: أترجاً وموزاً وبطيخاً، وقيل: أعتدت لهن ما يقطع، من متك الشيء بمعنى: بتكه إذا قطعه، وقرأ الأعرج: (متكاً): مفعلاً، من تكى يتكأ، إذا اتكأ، ﴿أَكْبَرْتَهُ﴾: أعظمته، وهين ذلك الحسن الرائع، والجمال الفائق، قيل: كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء، وعن النبي ﷺ: «مَرَزْتُ يُوْسُفَ اللَّيْلَةَ الَّتِي عُرِجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَقُلْتُ لِحَبْرِيْلَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: «يُوْسُفُ»، فَقِيلَ: يَا رَسُوْلَ اللهِ، كَيْفَ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: «كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» (٧٨٣)، وقيل: كان يوسف إذا سار في أزقة مصر، يرى تلالو وجهه على الجدران، كما يرى نور الشمس من الماء عليها، وقيل: ما كان أحد يستطيع وصف يوسف، وقيل/ ١١٦٩: كان يشبه آدم يوم خلقه ربه، وقيل: ورث الجمال من جدته سارة، وقيل: أكبرن بمعنى: حضن، والهاء: للسكت، يقال: أكبرت المرأة إذا حاضت، وحقيقته: دخلت في الكبر؛ لأنها بالحوض تخرج من حد الصغر إلى حد الكبر؛ وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله [من الطويل]:

٧٨٣ - أخرجه الحاكم (٥٧١/٢).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه الثعلبي من رواية أبي هارون العبدي عن أبي سعيد، وأخرجه الحاكم والبيهقي في الدلائل وابن مردويه من هذا الوجه مطولاً. انتهى.

(١) قوله: «ينباع» هو من قول الشاعر:

ينباع من ذفري أسيل حرة

زيافة مثل الفنيق المكدم

وقد مر شرح هذا البيت في سورة الأعراف بهذا الجزء فراجعه إن شئت اهـ.

(٢) المتكة: الأترجة، وكأنه التي ذكر أبو داود في سننه أنها شقت نصفين وحملت على ناقة. والخبب:

نوع من السير. والعثمة: الصلبة. والوقاح - بالفتح -: شديدة وقع الخف على الأرض.

ينظر: البيت في روح المعاني ٢٨٨/١٢، والدر المصون ١٧٤/٤.

(٣) قوله: «الزماورد» هو الرقاق المحشو باللحم (ع).

خَفِ اللَّهَ وَأَسْتُرْ ذَا الْجَمَالِ بِبُرْقِعٍ فَإِنْ لُحِتْ حَاصَتْ فِي الْخُدُورِ الْعَوَاتِقُ<sup>(١)</sup>

﴿وَقَطَّمْنَ أُيُودَهُنَّ﴾ جرحنها، كما تقول: كنت أقطع اللحم فقطعت يدي، تريد: جرحتها  
﴿حَشَّ﴾ كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء، تقول: أساء القوم حاشا زيد؛ قال:  
[من الكامل]:

حَاشَا أَبَا ثُوْبَانَ إِنْ.....  
..... ضَنَا عَنِ الْمَلْحَاةِ وَالشُّتْمِ

وهي حرف من حروف الجر، فوضعت موضع التنزيه والبراءة، فمعنى: «حاشا الله»: براءة الله وتنزيهه، وهي قراءة ابن مسعود، على إضافة حاشا إلى الله إضافة البراءة، ومن قرأ: «حاشا الله»؛ فنحو قولك: سقيا لك؛ كأنه قال: براءة، ثم قال: لله؛ لبيان من يبرأ وينزه، والدليل على تنزيل «حاشا»: منزلة المصدر: قراءة أبي السمال: (حاشا لله): بالتثوين، وقراءة أبي عمرو: (حاش لله): بحذف الألف الآخرة، وقراءة الأعمش: (حشا لله): بحذف الألف الأولى، وقرئ: (حاش لله): بسكون الشين، على أن الفتحة تبعث الألف في الإسقاط، وهي: ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده، وقرئ: «حاشا الإله».

(١) لأبي الطيب، يقول: اتق واستر هذا الجمال الذي في وجهك ببرقع، لأنك إن ظهرت حاضت العواتق، أي خيار النساء وهن في خدورهن، لما ينظرن من جمالك. ولاح يلوح: ظهر يظهر. ينظر: البيت في ديوانه ٣٤٩/٢، وروح المعاني ٢٢٩/١٢، والبحر المحيط ٣٠٣/٥، والدر المصون ١٧٥/٤.

(٢) حاشا أبي ثوبان إن أبا عمرو بن عبد الله إن به ضنا عن الملحاة والشتم للمنقذ بن الطماح وهو الجميح الأسدي. وحاشا: كلمة تبرئة وتنزيه واقعة موقع المصدر مضافة لما بعدها، كسبحان الله. ويجوز أنها حاشا الاستثنائية، وهي حرف جر عند الأكثر. ورواه الضبي: حاشا أبا ثوبان بالنصب، فهو فعل، واحتمال لغة القصر ضعيف لشهرة لغة الإعراب بالحروف. وعلى الأول فبناؤها لمشايتها للحرفية لفظاً ومعنى. وبكم الرجل - كتعب -: إذا عجز عن الكلام. وقدم كسهل وظرف، إذا عجز عن الحجة كأن فمه مسدود. والضم - بالكسر -: البخل. والملحاة: مفعلة، من لحاه إذا لامه. واللحاء - كالداء - مفاعلة من اللحن والعذل، من لحوت العود إذا قشرته. وتكرير أبي ثوبان لتعظيمه والتنويه باسمه، ليس ببكمة بالضم، أي ذي بكمة، أي: ليس بأبكم، ولا قدم: أي عاجز عن الكلام. وعمرو: قيل إنه بدل من أبي ثوبان، فقوله: إن أبا ثوبان إلخ: جملة اعتراضية مبينة لوجه التنزيه. وفي قوله: إن به ضنا، بيان لوجه سكوته عن مؤاخذه اللثام. والمعنى: إن به امتناعاً وتنزهاً عن اللؤم والشتم.

ينظر: المحتسب ٣٤١/١، المفضليات ٣٦٧، مجاز القرآن ٣١٠/١، وشرح المفصل ٤٧/٨، الدرر ١٩٦/١، ٨٤/١ الإنصاف ٢٨٠/١، البحر المحيط ٣٠٠/٥، اللسان «حاشا» الأصمعيات ص ٣٦٧، الجنى الداني ص ٥٦٢، والمقاصد النحوية ١٢٩/٣، والدر المصون ١٧٦/٤، وله أو لسيرة بن عمرو الأسدي في خزنة الأدب ١٨٢/٤، وهمع الهوامع ٣٢٢/١.

فإن قلت: فلم جاز في حاشا لله أن لا ينون بعد إجرائه مجرى: براءة لله؟  
 قلت: مراعاة لأصله الذي هو الحرفية؛ ألا ترى إلى قولهم: جلست من عن يمينه  
 كيف تركوا: «عن» غير معرب على أصله؟ وعلى<sup>(١)</sup> في قوله [من الطويل]:  
 غَدَتْ مِنْ عَالِيهِ... ..

منقلب الألف إلى الياء مع الضمير؟ والمعنى: تنزيه الله - تعالى - من صفات العجز،  
 والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله، وأما قوله: ﴿حَسْبُ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾:  
 فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله، ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾: نفين عنه البشرية لغرابة جماله  
 ومباعدة حسنه<sup>(٢)</sup>؛ لما عليه محاسن الصور، وأثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم؛ وذلك  
 لأن الله - عز وجل - ركز في الطباع أن لا أحسن من الملك، كما ركز فيها أن لا أبح من  
 الشيطان؛ ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما، وما ركز ذلك فيها إلا؛ لأن  
 الحقيقة كذلك، كما ركز في الطباع ألا أدخل في الشر من الشياطين، ولا أجمع للخير من  
 الملائكة، إلا ما عليه الفئة الخاسئة<sup>(٣)</sup> المجبرة من تفضيل الإنسان على الملك، وما هو إلا  
 من تعكيسهم للحقائق، وجحودهم للعلوم الضرورية، ومكابرتهم في كل باب، وإعمال:  
 «ما» عمل: «ليس» هي اللغة القدمى الحجازية<sup>(٤)</sup>، وبها ورد القرآن؛ ومنها قوله تعالى:  
 ﴿مَا هُنَّ أَتَمَّنْتَهُنَّ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ومن قرأ على سليقته من بني تميم، قرأ: (بشر):  
 بالرفع، وهي في قراءة ابن مسعود، وقرئ: «ما هذا بشري»، أي: ما هو بعبد مملوك  
 لثيم، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾: تقول: هذا بشري، أي: حاصل بشري، بمعنى: هذا

- (١) قوله: «على أصله وعلى في قوله» عطفه يحتاج إلى تكلف، أي: وإلى قوله:  
 غدت من عليه بعد ما تم ظمؤها .....  
 كيف ترك على في قوله. ويمكن أن التقدير: ألا ترى إلى قولهم إلخ وعلى في قوله أي: وألا ترى  
 على... إلخ.
- (٢) قال محمود: «نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه... إلخ» قال أحمد: تقدم القول في  
 مسألة التفضيل شافياً، والزمخشري لا يدعه التعصب للمعتقد الفاسد أن يحمله على مثل هذه  
 المشافهات، يرمي بها أهل الحق فينسب إليهم الإيجاب والخسار والمكابرة في الضروريات وجدد  
 الحقائق تمكيساً، وهذا كله هم براء منه، وحسبه من المقابلة بذلك خطؤه في اعتقاد أن تفضيل  
 الملك عند قائله ليس ضرورياً ولا عقلياً نظرياً، ولكن سمعياً، وقد قنع في الاستدلال على هذه  
 العقيدة بالضرورة التي ادعى أنها مركوزة في الطباع، ثم حكم بأن كل مركوز في الطباع حق،  
 وخصوصاً والكلام في طباع النساء القاتلات: ما هذا بشراً. وإذا كان كل مركوز في الطباع حقاً، فما  
 ركز فيها حب الشهوات وإيثار العاجلة وجميع أمهات الذنوب مركوز في الطباع، أفيكون ذلك حقاً  
 إلا عند ناظر بعين الهوى، أعشى في سبيل الهدى، والله ولي التوفيق.
- (٣) قوله: «إلا ما عليه الفئة الخاسئة» يريد أهل السنة، وقد أساء في تعصبه للمعتزلة فعفا الله عنه (ع).
- (٤) قوله: «ليس هي اللغة القدمى الحجازية» بمعنى القديمة، لكن لم يذكرها في الصحاح (ع).

مشري، وتقول: هذا لك بشري أم بكري؟ والقراءة: هي الأولى؛ لموافقها المصحف ومطابقة بشر لملك، ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ﴾: ولم تقل: فهذا وهو حاضر<sup>(١)</sup>؛ رفعاً لمنزلته في الحسن، واستحقاق أن يحب ويفتن به، وربناً بحاله واستبعاداً لمحلّه، ويجوز أن يكون إشارة إلى المعنى بقولهنّ: عشقت عبدها الكنعاني، تقول: هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكنّ، ثم لمتنني فيه، تعني: أنكن لم تصوّرنه بحق صورته، ولو صورتن بما عاينتن لعذرتنني في الافتنان به، الاستعصام: بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ، والتحفظ الشديد، كأنه في عصمة، وهو يجتهد في الاستزادة منها؛ ونحوه: استمسك واستوسع الفتق، واستجمع الرأي، واستفحل الخطب<sup>(٢)</sup>؛ وهذا بيان لما كان من يوسف - عليه السلام - لا مزيد عليه، وبرهان لا شيء أنور منه، على أنه بريء مما أضاف إليه أهل الحشو مما فسروا به الهمم والبرهان.

فإن قلت: الضمير في: ﴿مَأْمُورٌ﴾: راجع إلى الموصول، أم إلى يوسف؟

قلت: بل إلى الموصول، والمعنى: ما أمر به؛ فحذف الجار كما في قولك: أمرتك الخير، ويجوز أن تجعل «ما»: مصدرية، فيرجع إلى يوسف، ومعناه: ولئن لم يفعل أمري إياه، أي: موجب أمري ومقتضاه، قرئ: (وليكونا): بالتشديد والتخفيف، والتخفيف أولى؛ لأنّ النون كتبت في المصحف ألفاً على حكم الوقف؛ وذلك لا يكون إلا في الخفيفة.

﴿قَالَ رَبِّ آلَسِّنْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْخَافِيَةِ﴾

(١) قال محمود: «لم لم تقل فهذا وهو حاضر... الخ» قال أحمد: وبهذا أجبت عما أورده من السؤال في قوله تعالى أول البقرة ﴿ألم ذلك الكتاب﴾ لما جعل الإشارة إلى الحروف المذكورة فقال: إن قلت كيف أشار إليها وهي قريبة كما يشار إلى البعيد، وأجاب هو بأن كل متقضى بعيد، وأجبت أنا بأن الإشارة بذلك إلى بعد منزلة هذا الكتاب بالنسبة إلى كتب الله تعالى.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «والذي ذكره التصريفيون في «استعصم»: أنه موافق لـ «اغتنصم» فـ «استفعل» فيه موافق لـ «افتعل»، وهذا أجود من جعل «استفعل» فيه للطلب، لأن «اغتنصم» يدل على وجود اعتصامه، وطلب العصمة لا يدل على حصولها، وأما أنه بناء مبالغة يدل على الاجتهاد في الاستزادة من العصمة، فلم يذكر التصريفيون هذا المعنى لـ «استفعل»، وأما استمسك واستوسع الخطب والرأي فـ «استفعل» فيه لموافقة «افتعل» والمعنى: امتسك واتسع واجتمع، وأما استفحل الخطب فـ «استفعل» فيه موافقة لـ «تفعل»، أي تفعل الخطب، نحو: «استكبر وتكبر». وقرأ العامة بتخفيف نون «وليكونا» ويقفون عليها بالألف إجراء لها مجرى التنوين، ولذلك يحذفونها بعد ضمة أو كسرة، نحو: «هل تقومون، وهل تقومين»، في: «هل تقومين»، وهل تقومين، والنون الموجودة في الوقف نون الرفع، رجعوا بها عند عدم ما يقتضي حذفها. انتهى. الدر المصون.

﴿الْبَهْلَيْنِ﴾ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾

(السجن): بالفتح على المصدر، وقال: ﴿يَدْعُونِي﴾: على إسناد الدعوة إليهن جميعاً؛ لأنهن تنصحن له وزيّن له مطاوعتها، وقلن له: إياك وإلقاء نفسك في السجن والصغار، فالتجأ إلى ربه عند ذلك، وقال: «رب، نزول السجن أحب إلي من ركوب المعصية».

فإن قلت: نزول السجن مشقة على النفس شديدة، وما دعونه إليه لذة عظيمة، فكيف كانت المشقة أحب إليه من اللذة؟

قلت: كانت أحب إليه وأثر عنده؛ نظراً في حسن الصبر على احتمالها لوجه الله، وفي قبح المعصية، وفي عاقبة كل واحدة منهما، لا نظراً في مشتى النفس ومكروها، ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾: فزع منه إلى الطاف الله وعصمته، كعادة الأنبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر، لا أن يطلب منه الإجماع على التعفف والإلجاء إليه، ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾: أمل إليهن، والصبوة: الميل إلى الهوى، ومنها: الصبا؛ لأن النفوس تصبو إليها لطيب نسيما وروحها، وقرئ: أصب إليهن؛ من الصبابة، ﴿مِنَ الْبَهْلَيْنِ﴾: من الذين لا يعملون بما يعلمون؛ لأن من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء، أو من السفهاء؛ لأن الحكيم لا يفعل القبيح؛ وإنما ذكر الاستجابة ولم/ ١٦٩ يتقدم الدعاء؛ لأن قوله: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي﴾: فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف، ﴿السَّمِيعُ﴾: لدعوات الملتجئين إليه، ﴿الْعَلِيمُ﴾: بأحوالهم وما يصلحهم.

﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَجُنَّهُمْ حَتَّى جِئَ﴾ (٣٥)

﴿بَدَأَ لَهُمْ﴾: فاعله مضمرة؛ لدلالة ما يفسره عليه، وهو: «ليسجننه»، والمعنى: بدأ لهم بداء، أي: ظهر لهم رأي ليسجننه، والضمير في (لهم): للعزير وأهله، ﴿مِنَ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ﴾، وهي الشواهد على براءته، وما كان ذلك إلا باستئزال المرأة لزوجها، وفتلها منه في الذروة والغارب<sup>(١)</sup>، وكان مطاوعة لها وجميلاً ذلولاً زمامه في يدها، حتى أنساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها في سجنه، وإلحاق الصغار به كما أوعده به؛ وذلك لما أيست من طاعته لها، أو لطمعها في أن يذلل السجن ويسخره لها؛ وفي قراءة الحسن: «لتسجننه»: بالتاء على الخطاب: خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه، أو العزيز وحده على وجه التعظيم، ﴿حَتَّى جِئَ﴾: إلى زمان، كأنها اقترحت أن يسجن زماناً حتى تبصر ما يكون

(١) قوله: «وفتلها منه في الذروة» أي دورانها من وراء خديعته. أفاده الصحاح (ع).

منه، وفي قراءة ابن مسعود: «عتى حين»، وهي لغة هذيل، وعن عمر - رضي الله عنه - أنه سمع رجلاً يقرأ: (عتى حين)، فقال: من أقرأك؟ قال: ابن مسعود، فكتب إليه: «إن الله أنزل هذا القرآن فجعله عربياً، وأنزله بلغة قريش، فأقريئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل، والسلام».

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أُرْنِيَّ أَعَصِرُ خَمْراً وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أُرْنِيَّ  
أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾

«مع»: يدل على معنى الصحبة واستحداثها، تقول: خرجت مع الأمير، تريد مصاحباً له، فيجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له، ﴿فَتَيَانٍ﴾: عبدان للملك: خبازه وشرابه: رقي إليه أنهما يسمانه<sup>(١)</sup>، فأمر بهما إلى السجن، فأدخلا ساعة أدخل يوسف - عليه السلام - ﴿إِنِّي أُرْنِيَّ﴾ يعني: في المنام، وهي حكاية حال ماضية، ﴿أَعَصِرُ خَمْراً﴾ يعني: عنباً، تسمية للعنب بما يؤول إليه، وقيل: الخمر - بلغة عمان - اسم للعنب، وفي قراءة ابن مسعود: أعصر عنباً، ﴿وَمِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: من الذين يحسنون عبارة الرؤية، أي: يجيدونها، رأياه يقصّ عليه بعض أهل السجن رؤياه فيؤولها له، فقالا له ذلك، أو من العلماء؛ لأنهما سمعاه يذكر للناس ما علما به أنه عالم، أو من المحسنين إلى أهل السجن، فأحسن إلينا بأن تفرّج عنا الغمة بتأويل ما رأينا إن كانت لك يد في تأويل الرؤيا، روي أنه كان إذا مرض رجل منهم قام عليه، وإذا أصاق وسع له، وإذا احتاج جمع له، وعن قتادة: كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم، فجعل يقول: أبشروا، اصبروا تؤجروا؛ إن لهذا لأجرأ، فقالوا: بارك الله عليك، ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك! لقد بورك لنا في جوارك، فمن أنت يا فتى؟ قال: «أنا: يوسف ابن صفى الله يعقوب ابن ذبيح الله إسحاق ابن خليل الله إبراهيم، فقال له عامل السجن: لو استطعت خليت سبيلك، ولكني أحسن جوارك، فكن في أي بيوت السجن شئت، وروي أن الفتيين قالاه: إنا لنحبك من حين رأيناك، فقال: أنشدكم بالله ألا تحباني، فوالله ما أحبني أحد قط إلا دخل عليّ من حبه بلاء، لقد أحببني عمتي فدخل عليّ من حبه بلاء، ثم أحبني أبي فدخل عليّ من حبه بلاء، ثم أحببني زوجة صاحبي فدخل عليّ من حبه بلاء، فلا تحباني - بارك الله فيكما - وعن الشعبي أنهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي: إني أراني في بستان، فإذا بأصل حبله<sup>(٢)</sup> عليها ثلاثة عناقيد من عنب، فقطقتها وعصرتها في كأس

(١) قوله: «رقي إليه أنهما يسمانه» في الصحاح: رقى إليه الكلام ترقية، أي: رفع إليه (ع).

(٢) قوله: «فإذا بأصل حبله» في الصحاح «الحبله» بالضم: ثمر العشاء. وفيه «العشاء» كل شجر يعظم وله شوك والحبله - بالتحريك -: القضيبي من الكرم. وفيه أيضاً: سلة الخبز معروفة (ع).

الملك، وسقيته، وقال الخباز: إني أراني وفوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة،  
وذا سباع الطير تنهش منها.

فإن قلت: إلام يرجع الضمير في قوله: (نبينا بتأويله)؟

قلت: إلى ما قصا عليه، والضمير، يجري مجرى اسم الإشارة في نحوه؛ كأنه قيل:  
نبينا بتأويل ذلك.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ. قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي  
إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي  
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَتْ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى  
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٨﴾﴾

لما استعبراه ووصفاه بالإحسان، افترض ذلك<sup>(١)</sup>، فوصل به وصف نفسه بما هو فوق  
علم العلماء، وهو الإخبار بالغيب، وأنه ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن  
قب أن يأتيهما ويصفه لهما، ويقول: اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت، فيجدانه  
كما أخبرهما، وجعل ذلك تخلصاً إلى أن يذكر لهما التوحيد، ويعرض عليهما الإيمان  
ويزينه لهما، ويقبح إليهما الشرك بالله، وهذه طريقة على كل ذي علم أن يسلكها مع  
الجهال والفسقة، إذا استفتاه واحد منهم أن يقدم الهداية، والإرشاد، والموعظة، والنصيحة  
أولاً، ويدعوه إلى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك، وفيه أن  
العالم إذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصده - وغرضه أن يقتبس منه،  
وينتفع به في الدين - لم يكن من باب التزكية، ﴿بِتَأْوِيلِهِ﴾: بيان ماهيته وكيفيته؛ لأن  
ذلك يشبه تفسير المشكل والإعراب عن معناه، ﴿ذَلِكَ﴾: إشارة لهما إلى التأويل، أي:  
ذلك التأويل والإخبار بالمغيبات، ﴿مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾: وأوحى به إليّ ولم أقله عن تكهن  
وتنجم، ﴿إِنِّي تَرَكْتُ﴾: يجوز أن يكون كلاماً مبتدأ، وأن يكون تعليلاً لما قبله، أي:  
علمني ذلك وأوحى إليّ؛ لأنني رفضت ملة أولئك واتبعت ملة الأنبياء المذكورين، وهي  
الملة الحنيفية، وأراد بأولئك الذين لا يؤمنون: أهل مصر، ومن كان الفتيان على دينهم،  
وتكريرهم للدلالة على أنهم خصوصاً كافرون بالآخرة، وأن غيرهم كانوا قوماً مؤمنين  
بها<sup>(٢)</sup>، وهم الذين على ملة إبراهيم؛ ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيهاً على ما هم عليه من

(١) قوله: «افترض ذلك» أي اتخذ فرصة، أي نوبة وحظاً ونصيياً، أفاده الصحاح (ع).

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وليس «هم» عندنا تدل على الخصوص» قلت: لم يقل  
الزمخشري إن «هم» تدل على الخصوص، وإنما قال: تكرير «هم» للدلالة، فالتكرير هو الذي أفاد  
الخصوص، وهو معنى حسن فهمه أهل البيان. انتهى. الدر المنصور.

الظلم والكبائر التي لا يرتكبها إلا من هو كافر بدار الجزاء، ويجوز أن يكون فيه تعريض بما مني به من جهتهم حين أودعوه السجن، بعد ما رأوا الآيات الشاهدة على براءته، وأن ذلك ما لا يقدم عليه إلا من هو شديد الكفر بالجزاء؛ وذكر آباءه ليريحها أنه من بيت النبوة بعد أن عرّفهما أنه نبي يوحى إليه، بما ذكر من إخباره بالغيوب؛ ليقوي رغبتهما في الاستماع إليه واتباع قوله، ﴿مَا كَانَتْ لَنَا﴾: ما صحح لنا معشر الأنبياء، ﴿أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ﴾ أي: شيء كان من ملك أو جنّي أو إنسي/ ١٧٠، فضلاً أن نشرك به صنماً لا يسمع ولا يبصر، ثم قال: ﴿ذَلِكَ﴾: التوحيد، ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ أي: على الرسل وعلى المرسل إليهم؛ لأنهم نبهوهم عليه وأرشدوهم إليه، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾: المبعوث إليهم، ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾: فضل الله فيشركون ولا يتنبهون، وقيل: إن ذلك من فضل الله علينا؛ لأنه نصب لنا الأدلة التي ننظر فيها ونستدل بها، وقد نصب مثل تلك الأدلة لسائر الناس من غير تفاوت، ولكن أكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعاً لأهوائهم، فيبقون كافرين غير شاكرين.

﴿يَصَدِّجِي السِّجْنَ أَرْبَابٌ مُتَّفِرِقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٢٦) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَبَّيْتُمُوهَا أَشْرَءَ آبَاءُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾

﴿يَصَدِّجِي السِّجْنَ﴾ يريد: يا صاحبي في السجن، فأضافهما إلى السجن كما تقول: يا سارق الليلة، فكما أن الليلة مسروق فيها غير مسروقة؛ فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب؛ وإنما المصحوب غيره وهو يوسف - عليه السلام - ونحوه قولك لصاحبيك: يا صاحبي الصدق، فتضيفهما إلى الصدق، ولا تريد أنهما صحبا الصدق، ولكن كما تقول: رجلا صدق، وسميتهما صاحبين؛ لأنهما صحباك، ويجوز أن يريد: يا ساكني السجن؛ كقوله: ﴿أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الحشر: ٢٠]، ﴿أَرْبَابٌ مُتَّفِرِقُونَ﴾: يريد التفريق في لعدد والتكاثر، يقول: أن تكون لكما أرباب شتى، يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا، ﴿خَيْرٌ﴾: لكما، ﴿أَمِ﴾: أن يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية، بل هو ﴿الْقَهَّارُ﴾: الغالب، وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام، ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾: خطاب لهما، ولمن على دينهما من أهل مصر، ﴿إِلَّا أَسْمَاءُ﴾ يعني: أنكم سميت ما لا يستحق الإلهية آلهة، ثم طفقتم تعبدونها؛ فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء فارغة لا مسميات تحتها، ومعنى ﴿سَبَّيْتُمُوهَا﴾: سميتم بها، يقال: سميتم بزيد، وسميته زيدا، ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي: بتسميتها، ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾: من حجة، ﴿إِنْ الْحُكْمُ﴾: في أمر العبادة والدين، ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾: ثم بين ما حكم به فقال: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾:

الثابت الذي دلت عليه البراهين .

﴿بَصَّحِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخَرَ فَيُضَلِّبُ فَتَأْكُلُ الظُّمِيرُ مِنْ رَأْسِهِ، قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (٤١)

﴿أَمَا أَحَدُكُمْ﴾: يريد الشرابي، ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ﴾: سيده، وقرأ عكرمة: «فيسقي ربه»، أي: يسقي ما يروي به على البناء للمفعول، روي أنه قال للأول: ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده، وأما القضبان الثلاثة: فإنها ثلاثة أيام تمضي في السجن، ثم تخرج وتعود إلى ما كنت عليه، وقال للثاني: ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل، ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾: قطع وتم ما، ﴿تَسْتَفْتِيَانِ﴾: فيه من أمركما وشأنكما. فإن قلت: ما استفيتا في أمر واحد، بل في أمرين مختلفين، فما وجه التوحيد؟

قلت: المراد بالأمر: ما اتهما به من سمّ الملك وما سجنا من أجله، وظنا أن ما رأياه في معنى ما نزل بهما، فكأنهما كانا يستفتيانه في الأمر الذي نزل بهما أعاقبته نجاة أم هلاك، فقال لهما: قضى الأمر الذي فيه تستفتيان، أي: ما يجزى إليه من العاقبة، وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر، وقيل: جحدا، وقالوا: ما رأينا شيئا، على ما روي أنهما تحالما له، فأخبرهما أن ذلك كائن صدقتما أو كذبتما.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَّهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ. فَلَيْتَ فِي السِّجْنِ يَضَعُ سِنِينَ﴾ (٤٢)

﴿ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ﴾: الظان: هو يوسف، إن كان تأويله بطريق الاجتهاد، وإن كان بطريق الوحي: فالظان هو الشرابي، ويكون الظن بمعنى: اليقين<sup>(١)</sup>، ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾: صفني عند الملك بصفتي، وقص عليه قصتي؛ لعله يرحمني ويتأشني من هذه الورطة، ﴿مَأْنَسَهُ الشَّيْطَانُ﴾: فأنسى الشرابي، ﴿ذِكْرَ رَبِّهِ﴾: أن يذكره لربه، وقيل: فأنسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره إلى غيره، ﴿يَضَعُ سِنِينَ﴾: البضع ما بين الثلاث إلى التسع، وأكثر الأقاويل على أنه لبث فيه سبع سنين.

(١) قال السمين الحلبي: قُلْتُ: يعني أنه إن كان الظن على بابه فلا يستقيم إسناده إلى يوسف، إلا أن يكون تأويله بطريقة الاجتهاد لأنه متى كان بطريق الوحي كان يقيناً فينسب الظن حينئذٍ للشرابي لا له عليه السلام، وأما إذا كان الظن بمعنى اليقين فتصح نسبته إلى يوسف، وإن كان تأويله بطريق الوحي، وهو حسن وإلى كون الظن على بابه وهو مسند ليوسف إن كان تأويله بطريق الاجتهاد، ذهب قتادة فإنه قال: الظن هنا على بابه، لأن عبارة الرؤيا ظن. انتهى. الدر المصون.

فإن قلت: كيف يقدر الشيطان على الإنسان؟

قلت: يوسوس إلى العبد بما يشغله عن الشيء من أسباب النسيان، حتى يذهب عنه  
ويزل عن قلبه ذكره، وأما الإنساء ابتداء فلا يقدر عليه إلا الله، عز وجل، ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ  
أَوْ نُهِيَهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

فإن قلت: ما وجه إضافة الذكر إلى ربه إذا أريد به الملك؟ وما هي بإضافة المصدر  
إلى الفاعل ولا إلى المفعول؟

قلت: قد لابس في قولك: «فأنساه الشيطان ذكر ربه»، أو: عند ربه فجازت إضافة  
إليه؛ لأن الإضافة تكون بأدنى ملابسة، أو على تقدير: فأنساه الشيطان ذكر إخبار ربه،  
فحذف المضاف الذي هو الإخبار.

فإن قلت: لم أنكر على يوسف الاستغاثه بغير الله في كشف ما كان فيه، وقد قال الله  
تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢]، وقال حكاية عن عيسى، عليه السلام، ﴿مَنْ  
أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]، وفي الحديث: «الله في عون العبد ما دام العبد في عون  
أخيه المسلم» (٧٨٤) «مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتِ الآخِرَةِ» وعن  
عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ لم يأخذ النوم ليلة من الليالي، وكان يطلب  
من يحرسه، حتى جاء سعد فسمعت غطيظه (٧٨٥)، وهل ذلك إلا مثل التداوي بالأدوية

٧٨٤ - أخرجه مسلم (٢٠٧٤/٤) كتاب الذكر والدعاء: باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن حديث  
(٢٦٩٩/٣٨) والترمذي (٢٦/٤) كتاب الحدود: باب ما جاء في الستر على المسلم حديث  
(١٤٢٥)، (٢٨٧/٤) كتاب البر والصلة: باب ما جاء في السترة على المسلم حديث  
(١٩٣٠) وأبو داود (٧٠٤/٢) كتاب الأدب: باب في المعونة للمسلم حديث (٤٩٤٦) وابن ماجه  
(٨٢/١) المقدمة: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم حديث (٢٢٥) وأحمد (٢٠٢/٢)  
وأبو نعيم في الحلية (١١٩/٨) والبيهقي في «شرح السنة» (٢٢١/١) - بتحقيقنا) كلهم من طريق  
الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً.  
قال النووي في «شرح مسلم» (٢٨/٩).  
ومعنى (نفس الكربة): أزالها.

وفيه: فضل قضاء حوائج المسلمين، ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة  
أو نصيحة وغير ذلك، وفضل الستر على المسلمين، وقد سبق تفصيله، وفضل إظهار المعسر،  
وفضل المشي في طلب العلم، ويلزم من ذلك الاشتغال بالعلم الشرعي، بشرط أن يقصد به وجه  
الله تعالى، وإن كان هذا شرطاً في كل عبادة، لكن عادة العلماء يقيدون هذه المسألة به، لكونه قد  
يتساهل فيه بعض الناس، ويفعل عنه بعض المبتدئين ونحوهم.  
وقال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي هريرة في أثناء حديث. انتهى.

٧٨٥ - أخرجه البخاري (٢٣٢/١٣) كتاب التمني باب قوله ﷺ: «ليت كذا وكذا»، ومسلم (١٩٥/٨)، =

والتعمي بالاشربة والاطعمة، وإن كان ذلك؛ لأن الملك كان كافراً، فلا خلاف في جواز أن يستعان بالكفار في دفع الظلم، والغرق، والحرق، ونحو ذلك من المضار؟

قلت: كما اصطفى الله - تعالى - الأنبياء على خليقته، فقد اصطفى لهم أحسن الأمور، وأفضلها، وأولها، والأحسن والأولى بالنبي ألا يكمل أمره إذا ابتلي ببلاء إلا إلى ربه، ولا يعتضد إلا به، خصوصاً إذا كان المعتضد به كافراً؛ لثلا يشمت به الكفار، ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث بنا، وعن الحسن: أنه كان يبكي إذا قرأها ويقول: نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس.

﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِيَّايَ أَرَأَيْتَ سَبَعٌ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُبُلَكِيٍّ خُضِرٍ وَأُخْرَ يَابِسَةٍ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ (٤٣)

لما دنا فرج يوسف، رأى ملك مصر «الريان بن الوليد» رؤيا عجيبة هالته: رأى سبع/ ١٧٠ ب بقرات سمان خرجن من نهر يابس، وسبع بقرات عجاف، فابتلعت العجاف السمان، ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها، وسبعاً آخر يابسات قد استحصدت وأدركت، فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها، فاستعبرها، فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها، ﴿سِمَانٍ﴾: جمع سمين وسمينة، وكذلك رجال ونسوة كرام.

فإن قلت: هل من فرق بين إيقاع: (سمان) صفة للمميز وهو: (بقرات) دون المميز، وهو: (سبع)، وأن يقال: سبع بقرات سمانا؟

قلت: إذا أوقعتها صفة لبقرات، فقد قصدت إلى أن تميز السبع بنوع من البقرات، وهي السمان منهز لا بجنسهن، ولو وصفت بها السبع، لقصدت إلى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها، ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن.

فإن قلت: هلا قيل: سبع عجاف على الإضافة؟

قلت: التمييز موضوع لبيان الجنس، والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده.

-----  
= (١٩٦) نوري كتاب فضائل الصحابة باب في فضل سعد رقم (٢٤١٠) والحاكم (٥٠١/٣).

وقال المحافظ في تخريج الكشاف:

متفق عليه من طريق عبد الله بن عامر بن ربيعة عنها بلفظ: «أرق رسول الله ﷺ ذات ليلة، فقال: ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة، قال: وسمعت صوت السلاح، فقال: رسول الله ﷺ من هذا؟ قال: سعد بن أبي وقاص: يا رسول الله جئت أحرسك فقالت عائشة: فنام حتى سمعت غطيظه، وغفل الحاكم فاستدركه... انتهى.

فإن قلت: فقد يقولون: ثلاثة فرسان وخمسة أصحاب.

قلت: الفارس، والصاحب، والراكب، ونحوها: صفات جرت مجرى الأسماء، فأخذت حكمها، وجاز فيها ما لم يجز في غيرها؛ ألا تراك لا تقول: عندي ثلاثة ضخام وأربعة غلاظ.

فإن قلت: ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا إشكال فيه؛ ألا ترى أنه لم يقل: بقرات سبع عجاف؛ لوقوع العلم بأن المراد البقرات؟

قلت: ترك الأصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس بأصل، وقد وقع الاستغناء بقولك: (سبع عجاف)، عما تقترحه من التمييز بالوصف، والعجف: الهزال الذي ليس بعده، والسبب في وقوع «عجاف»: جمعاً «لعجفاء»، وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال: حملة على سمان؛ لأنه نقيضه، ومن دأبهم حمل النظير على النظير، والنقيض على النقيض.

فإن قلت: هل في الآية دليل على أن السنبلات اليابسة كانت سبباً كالخضر؟

قلت: الكلام مبني على انصباغه إلى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنبال الخضر، فوجب أن يتناول معنى الأخير السبع، ويكون قوله: (وأخر يابسات)، بمعنى: وسبباً آخر.

فإن قلت: هل يجوز أن يعطف قوله: (وأخر يابسات) على (سنبلات خضر)، فيكون مجرور المحل؟

قلت: يؤدي إلى تدافع، وهو أن عطفها على: (سنبلات خضر) يقتضي أن تدخل في حكمها فتكون معها مميّزاً للسبع المذكورة، ولفظ الآخر يقتضي أن تكون غير السبع، بيانه: أنك تقول: عندي سبعة رجال قيام وعود: بالجر، فيصح؛ لأنك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والعود، على أن بعضهم قيام وبعضهم قعود، فلو قلت: عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود، تدافع ففسد، ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ﴾: كأنه أراد الأعيان من العلماء والحكماء، واللام في قوله: ﴿لِلرُّؤْيَا﴾: إما أن تكون للبيان؛ كقوله: ﴿وَكَاوُوا فِيهِ مِنَ الرَّهْدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠]، وإما أن تدخل؛ لأن العامل إذا تقدّم عليه معموله، لم يكن في قوته على العمل فيه مثله إذا تأخر عنه، فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل، إذا قلت: هو عابر للرؤيا، لانحطاطه عن الفعل في القوة، ويجوز أن يكون للرؤيا خبر كان؛ كما تقول: كان فلان لهذا الأمر إذا كان مستقلاً به متمكناً منه، و﴿تَمْتَرُونَ﴾: خبر آخر، أو حال، وأن يضمن: (تعبرون) معنى: فعل يتعدى باللام، كأنه قيل: إن كنتم تنتدبون لعبارة

الرؤيا، وحقيقة: «عبرت الرؤيا»: ذكرت عاقبتها وآخر أمرها، كما تقول: عبرت النهر، إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره<sup>(١)</sup>؛ ونحوه: أولت الرؤيا إذا ذكرت مآلها وهو مرجعها، وعبرت الرؤيا: بالتخفيف، هو الذي اعتمده الأثبات، ورأيتهم ينكرون «عبرت»: بالتشديد والتعبير والمعبر، وقد عَثَرْتُ على بيت أنشده المبرّد في كتاب الكامل لبعض الأعراب [من السريع]:

رَأَيْتُ رُؤْيَا ثُمَّ عَبَّرْتُهَا وَكُنْتُ لِأَحْلَامٍ عَبَّارًا<sup>(٢)</sup>

﴿قَالُوا أَضَغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾

﴿ضَغَتْ أَحْلَامٌ﴾: تخاليطها وأباطيلها، وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان، وأصل الأضغاث: ما جمع من أخلاط النبات وحزم الواحد: ضغت؛ فاستعيرت لذلك، والإضافة بمعنى: «من» أي: أضغاث من أحلام، والمعنى: هي أضغاث أحلام.

فإن قلت: ما هو إلا حلم واحد، فلم قالوا: أضغاث أحلام فجمعوا؟

قلت: هو كما تقول: فلان يركب الخيل ويلبس عمامة الخبز، لمن لا يركب إلا فرساً واحداً وما له إلا عمامة فردة، تزيداً في الوصف، فهؤلاء - أيضاً - تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان، فجعلوه أضغاث أحلام، ويجوز أن يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾: إما أن يريدوا بالأحلام: المنامات الباطلة<sup>(٣)</sup>

- (١) قوله: «آخر عرضه وهو عبره» في الصحاح: «عبر النهر، وعبر شطره وجانبه (ع)».
- (٢) أنشده المبرّد في كتابه. والرؤيا - بالألف: مصدر رأى المنامية، ويقال مجيئه بالباء. ومصدر البصرية بالعكس، وعبرت الرؤيا - بالتخفيف وبالتضعيف كما هنا -: ذكرت عاقبتها وأدركت غايتها كأولتها. إذا ذكرت مآلها ومرجعها. والأحلام: جمع حلم بالضم، وهو ما يراه النائم. والعبارة: مبالغة في المعبر أو في العابر، واللام تزداد في المعمول لتقوية العامل إذا ضعف بالتأخر، أو بكونه فرعاً عن الفعل، وقد اجتمع الأمران ههنا فزيدت اللام.
- ينظر: البيت في روح المعاني ١٢/٢٥٠، والبحر ٥/٣١١، والتاج (عبر)، والدر المصون ٤/١٨٧.
- (٣) قال محمود: «يحتمل أن يكون مرادهم بالأحلام المنامات... إلخ» قال أحمد: وهذا هو الظاهر، وحمل الكلام على الأول بصيره من وادي [من الطويل]:

على لا حب لا يهتدي بمناره

كأنهم قالوا: ولا تأويل للأحلام الباطلة فنكون به عالمين. وقول الملك لهم أولاً ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا سَمْعُونَ﴾ دليل على أنهم لم يكونوا في علمه عالمين بها، لأنه أتى بكلمة الشك، وجاء اعترافهم بالقصور مطابقاً لشك الملك الذي أخرجه مخرج استفهامهم عن كونهم عالمين بالرؤيا أولاً. وقول الفتى: أنا أنبئكم بتأويله - إلى قوله - لعلني أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون: دليل أيضاً على ذلك. والله أعلم.

خاصة، فيقولوا: ليس لها عندنا تأويل، فإن التأويل إنما هو للمنامات الصحيحة الصالحة، وإما أن يعترفوا بقصور علمهم، وأنهم ليسوا في تأويل الأحلام بنحارير<sup>(١)</sup>.

﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَّىٰ مِنْهَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتِزَعُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ (٤٥)

قرئ: ﴿وَادَّكَرَ﴾: بالدال، وهو الفصيح، وعن الحسن: «واذكر»: بالذال المعجمة، والأصل: تذكر، أي: تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه، ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾: بعد مدة طويلة؛ وذلك أنه حين استفتى الملك في رؤياه وأعضل على الملائكة تأويلها، تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه، وطلبه إليه أن يذكره عند الملك، وقرأ الأشهب العقيلي: (بعد إمة): بكسر الهمزة، والإمة: النعمة؛ قال عدي [من الخفيف]:

ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالْإِمَامِ مَمَّةً وَارْتَهُمُ هُنَاكَ الْقُبُورُ<sup>(٢)</sup>

أي: بعد ما أنعم عليه بالنجاة، وقرئ: (بعد أمه): بعد نسيان<sup>(٣)</sup>، يقال: أمه يأمه أمها، إذا نسي، ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ<sup>(٤)</sup>، ﴿أَنَا أُنْتِزَعُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾: أنا أخبركم

(١) قوله: «بنحارير» جمع نحير وهو العالم المتقن، كما في الصحاح (ع).

(٢) أين كسرى كسرى الملوك أبوسا سان؟ بل أين قبله سابور؟

ثم بعد الفلاح والملك والإمام ممة وارتهم هناك القبور  
ثم صاروا كأنهم ورق جفف فآلوت به الصبا والدبور

لعدي بن زيد. وكسرى وساسان وسابور: أسماء ملوك وساسان: هو أبو الأكاسرة. ويروي: أنو شروان، بدل أبو ساسان؛ فهو كلمة واحدة. وكسرى الثاني بدل من الأول، مضاف لما بعده؛ كما يقال: ملك الملوك، وهو فارسي معرب، وأصله خسرو، فغيرته العربية. وإن كان عربياً مأخوذاً من الكسر؛ فالمعنى أنه كان يكسر شوكة الملوك، وما بعده عطف بيان له وقبلة متعلق بمحذوف حال من سابور وفي «بل» دلالة على أن سابور أعظم منهما. وثم - بالفتح - ظرف خبر لمحذوف أي هم ثم. وإن ضمت فهي عاطفة على محذوف، أي أفلحوا ثم بعد الفلاح، أي البقاء أو الفوز والملك. وروي بدله «الرشد». والإمة - بالكسر -: النعمة، وبالضم: الجيش العظيم. وارتهم: أي سترتهم قبورهم في ذلك المكان، كناية عن موتهم، فيدفنون في باطن الأرض بعد عظمتهم على وجهها، ثم شبههم بالورق الذي جف فاختلفت به الصبا والدبور، فهذه نظيرة كذا وهذه نظيرة كذا، فآلوت بمعنى التوت، أو بمعنى: أوقعت به اللي، يعني تطاول بهم الزمان حتى تفتت عظامهم وصارت كذلك.

ينظر: ديوانه (٨٩)، مثلثات قطرب / ٤٥، الرازي ١٥٢/١٨، فصيح ثعلب ٦٥، شواهد المغني للبغدادي ٤٢/٤، ٤٧، ابن الشجري ٩١/١، الشعر والشعراء ٢٢٥/١، الأغاني ٢١٥/١، ١٢٦، وحماسة البحتري ١٢٢، تاريخ الطبري ٥٠/٢، ٦٨، اللسان: أم، الدر المصون ١٨٨/٤.

(٣): قوله: «قرئ بعد أمه بعد نسيان» لعله أي بعد (ع).

(٤): قوله: «ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ» بمعنى أثم من الخطأ بالكسر، وهو الإثم. أفاده الصحاح

(ع).

به عنمن / ١٧١ عنده علمه، وفي قراءة الحسن: أنا آتاكم بتأويله، ﴿فَأَرْسَلُونَا﴾: فابعثوني إليه لأسأله، ومروني باستعباره، وعن ابن عباس: لم يكن السجن في المدينة.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتَنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

المعنى: فأرسلوه إلى يوسف، فأناه فقال: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾: أيها البليغ في الصدق؛ وإنما قال له ذلك لأنه ذاق أحواله، وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه؛ حيث جاء كما أول؛ ولذلك كلمه كلام محترز فقال: ﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؛ لأنه ليس على يقين من الرجوع؛ فربما اخترم دونه، ولا من علمهم فربما لم يعلموا، أو معنى: (لعلهم يعلمون): لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم، فيطلبوك ويخلصوك من محتكك.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنَ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿تَزْرَعُونَ﴾: خبر في معنى الأمر؛ كقوله: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ﴾ [الصف: ١١]؛ وإنما يخرج الأمر في صورة الخبر؛ للمبالغة في إيجاب إيجاد الأمور به، فيجعل كأنه يوجد، فهو يخبر عنه، والدليل على كونه في معنى الأمر قوله: ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿دَابًّا﴾: بسكون الهمزة وتحريكها، وهما مصدران: دأب في العمل، وهو حال من المأمورين، أي دائبين: إما على تدأبون دأباً، وإما على إيقاع المصدر حالاً، بمعنى: ذوي دأب، ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾؛ لثلاث يتسوس، و﴿يَأْكُلْنَ﴾: من الإسناد المجازي: جعل أكل

= قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا على عادته في نسبه الخطأ إلى القراء». قلت: لم ينسب هو إليهم خطأ، وإنما حكى أن بعضهم خطأ هذا القارئ فإنه قال: «خطئ» بلفظ ما لم يسم فاعله، ولم يقل فقد أخطأ على أنه إذا صح أن من ذكره قرأ بذلك فلا سبيل إلى الخطأ إليه البتة. انتهى. الدر المصون.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «ولا يدل الأمر بتركه في سنبله على أن «تزرعون» في معنى: ازرعوا، بل «تزرعون»، إخبار غيب وأما «فذرؤه» فهو أمر إشارة بما ينبغي أن يفعلوه». قلت: هذا هو الظاهر ولا مدخل لأمره لهم بالزراعة، لأنهم يزرعون على عادتهم أمرهم أو لم يأمرهم، وإنما يحتاج إلى الأمر، فيما لم يكن من عادة الإنسان أن يفعله كتركه «في سنبله». انتهى الدر المصون.

أهلهم مسنداً إليهم، ﴿مُحْصِرُونَ﴾: تحرزون وتخبؤون، ﴿يُعَاثُ النَّاسُ﴾: من الغوث أو من الغيث، يقال: غيثت البلاد، إذا مطرت؛ ومنه قول الأعرابية: غشنا ما شئنا، ﴿يَعْمِرُونَ﴾: بالياء والتاء: يعصرون العنب والزيتون والسمسم، وقيل: يحلبون الضروع، وقرئ: «يعصرون»: على البناء للمفعول، من عصره إذا أنجاه، وهو مطابق للإغاثة، ويجوز أن يكون المبني للفاعل بمعنى: ينجون، كأنه قيل: فيه يغاث الناس وفيه يغيثون أنفسهم، أي: يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضاً، وقيل: (يعصرون): يمطرون، من أعصرت السحابة، وفيه وجهان: إما أن يضمن أعصرت معنى مطرت، فيعدى تعديته، وإما أن يقال: الأصل أعصرت عليهم، فحذف الجار وأوصل الفعل، تأول البقرات السماء، والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب، والعجاف واليابسات بسنين مجدبة، ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يجيء مباركاً خصيباً، كثير الخير، غزير النعم؛ وذلك من جهة الوحي، وعن قتادة: زاده الله علم سنة.

فإن قلت: معلوم أنّ السنين المجدبة إذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب، وإلا لم توصف بالانتهاه، فلم قلت: إن علم ذلك من جهة الوحي؟

قلت: ذلك معلوم علماً مطلقاً لا مفصلاً، وقوله: ﴿فِيهِ يُعَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾: تفصيل لحال العام؛ وذلك لا يعلم إلا بالوحي.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِهِ فَمَا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَأَلِ النَّسِوةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاودْتُنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلَّمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتْ أَمْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾﴾

إنما تأنى وتثبت في إجابة الملك<sup>(١)</sup>، وقدم سؤال النسوة؛ ليظهر براءة ساحته عما

(١) قال محمود: «إنما تأنى وتثبت في إجابة الملك لتظهر براءة ساحته عما قرف به... الخ» قال أحمد: ولقد مدحه النبي ﷺ على هذه الأناة بقوله: ولو لبثت في السجن بعض ما لبث يوسف لأجبت الداعي، وكان في طي هذه المدحة بالأناة والتثبت تنزيهه وتبرئته مما لعله يسبق إلى الوهم من أنه هم بزليخا هما يؤاخذ به، لأنه إذا صبر وتثبت فيما له أن لا يصبر فيه وهو الخروج من السجن، مع أن الدواعي متوفرة على الخروج منه، فلأن يصبر فيما عليه أن يصبر فيه من الهم أولى وأجدر، والله أعلم.

قرف<sup>(١)</sup> به وسجن فيه؛ لئلا يتسلق به الحاسدون<sup>(٢)</sup> إلى تقبيح أمره عنده، ويجعلوه سلماً إلى حط منزلته لديه، ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين إلا لأمر عظيم، وجرم كبير حق به أن يسجن ويعذب ويستكف شره، وفيه دليل على أن الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها؛ قال عليه السلام: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلَا يَقْفَنُ مَوَاقِفَ التُّهْمِ<sup>(٣)</sup>» ومنه قال رسول الله ﷺ للمأزني به في معتكفه وعنده بعض نسائه -: «هِيَ فُلَانَةٌ» (٧٨٦) اتقاء للتهمة، وعن النبي ﷺ: «لَقَدْ عَجِبْتُ مِنْ يُوسُفَ وَكَرِيمَ وَصَبْرِهِ - وَاللَّهِ يَغْفِرُ لَهُ - جِئِن سُئِلَ عَنِ الْبَقَرَاتِ الْعِجَافِ وَالسَّمَانِ، وَلَوْ كُنْتُ مَكَانَهُ مَا أَخْبَرْتُهُمْ حَتَّى أَشْتَرِطَ أَنْ يُخْرِجُونِي، وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنْهُ جِئِن أَنَاهُ الرُّسُولُ فَقَالَ: أَرْجِعْ إِلَيَّ رَبُّكَ، وَلَوْ كُنْتُ مَكَانَهُ وَلَبِثْتُ فِي السُّجْنِ مَا لَبِثْتُ، لِأَسْرَعْتُ الْإِجَابَةَ وَبَادَرْتُهُمْ الْبَابَ وَلَمَّا ابْتَغَيْتُ الْعُذْرَ، إِنْ كَانَ لَحَلِيمًا ذَا أَنَاةٍ» (٧٨٧)، وإنما قال: سل الملك عن حال النسوة،

٧٨٦ - أخرجه البخاري (٣٨٧/٦ - ٣٨٨) كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده حديث رقم (٣٢٨١)، ومسلم (٤١١/٧) نووي كتاب السلام باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خالياً حديث رقم (٢١٧٥)، وأبو داود (٣٣٢/٢) كتاب الصوم باب المعتكف يدخل البيت لحاجته، (٢٩٨/٤)، (٢٩٩) «كتاب الأدب» باب في حسن الظن» حديث رقم (٤٩٩٤)، وأحمد (٣٣٧/٦)، وابن ماجه (٥٦٥/١ - ٥٦٦) «كتاب الصيام» باب في المعتكف يزوره أهله في المسجد حديث رقم (١٧٧٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٢١/٤ - ٣٢٢)، باب المعتكف يخرج إلى باب المسجد، (٣٢٤/٤) «باب المرأة تزور زوجها في اعتكافه»، والبخاري في شرح السنة (٣٩٧/٧) «كتاب الرقاق» باب فتنة شيطان حديث رقم (٤١٠٣).

قال الحافظ:

متفق عليه من حديث علي بن الحسين عن صفية بنت حيي قالت: كان رسول الله ﷺ يعتكف فأتيته أزوره ليلاً فحدثته، ثم قمت فانقلبت فقام معي ليلتي. وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار. فلما رأياه أسرع. فقال: علي رسلكما، إنها صفية - الحديث» انتهى.

٧٨٧ - أخرجه الطبراني في معجمه الكبير (٢٤٩/١١) حديث رقم (١١٦٤٠)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٢/٧)، وقال: رواه الطبراني وفيه إبراهيم بن يزيد القرشي المكي وهو متروك، وأخرجه الطبري (٢٣٣/٧) رقم (١٩٤١٠).

وللمحدث شاهد من حديث أبي هريرة.

أخرجه الطبري (٢٣٢/٧) حديث رقم (١٩٤٠٣).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه عبد الرزاق والطبري من طريقه عن ابن عيينة عن عمرو بن عكرمة بهذا بدون قوله: «إن كان لحليماً ذاً أناة» وصله إسحاق من رواية إبراهيم بن يزيد الجوزي عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس بمعناه، وزاد: ولولا الكلمة التي قالها ما لبث في السجن حتى يبتغي الفرج من عند =

(١) قوله: «عما قرف به إلخ» أي اتهم به. والتسلق: التوسل (ع).

(٢) يأتي في الأحزاب.

ولم يقل: سلّه أن يفتش عن شأنهن؛ لأنّ السؤال مما يهيج الإنسان ويحركه للبحث عما سئل عنه، فأراد أن يورد عليه السؤال ليجدّ في التفتيش عن حقيقة القصة وفصّ الحديث<sup>(١)</sup>؛ حتى يتبين له براءته بياناً مكشوفاً يتميز فيه الحق من الباطل، وقرئ: (النسوة): بضم النون، ومن كرمه، وحسن أدبه: أنه لم يذكر سيده مع ما صنعت به، وتسببت فيه من السجن والعذاب، واقتصر على ذكر المقطعات أيديهن، ﴿إِنَّ رَبِّي﴾: إنّ الله تعالى ﴿يَكِيدُهُنَّ عِلْمٌ﴾: أراد أنه كيد عظيم، لا يعلمه إلا الله، لبعده غوره، أو استشهد بعلم الله على أنهن كدنه، وأنه بريء مما قرف به، أو أراد الوعيد لهنّ، أي: هو عليم بكيدهنّ فمجازهنّ عليه، ﴿مَا خَطْبُكُمْ﴾: ما شأنكنّ ﴿إِذْ زَوَّجْنَا يُوسُفَ﴾: هل وجدتنّ منه ميلاً إليكنّ، ﴿قلن حاش لله﴾: تعجباً من عفته، وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها، ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ لَنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ أي: ثبت واستقرّ، وقرئ: (حصحص): على البناء للمفعول، وهو من حصص البعير: إذا ألقى ثفناته<sup>(٢)</sup> للإناخة؛ قال [من الطويل]:

فَحَصْحَصَ فِي صُمِّ الصَّفَا ثِفَاتِهِ وَنَاءً بِسَلْمَى نَوْءَةً ثُمَّ صَمَّمَا<sup>(٣)</sup>  
ولا مزيد على شهادتهنّ له بالبراءة والنزاهة<sup>(٤)</sup>، واعترافهنّ على أنفسهنّ بأنه لم يتعلق

= غير الله - يعني قوله: ﴿اذكرني عند ربك﴾، وأخرجه الطبراني وابن مردويه من طريق إسحاق. وأما قوله: ﴿إن كان لحليماً ذا أناة﴾، فأخرج الطبري من رواية أبي إسحاق عن رجل لم يسم عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يرحم الله يوسف، لو كنت أنا المحبوس ثم أرسل إلي لخرجت سريعاً، إن كان لحليماً ذا أناة»، ورواه ابن مردويه من طريق ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهري، وعن الأعرج عن أبي هريرة. انتهى.

- (١) قوله: «وفص الحديث» في الصحاح «فص الأمر» مفصلة (ع).  
(٢) قوله: «ألقى ثفناته للإناخة» هي ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ وغلظ كالركبتين وغيرهما، كذا في الصحاح (ع).  
(٣) لحميد بن ثور يصف بعيراً بأنه ألقى في الحجارة الصلبة أعضاءه التي يبرك عليها عند الإناخة، والصم جمع صماء أو أصم أي صلب. وناء: أي قام متثاقلاً بسلمى محبوتي نواة ونهضة واحدة لم يتردد، ثم صمم وعزم على السير. وروي أن سمرة بن جندب أتى برجل عنين، فاشتري له جارية من بيت المال وأدخلها معه ليلة، فلما أصبح قال له: ما صنعت؟ قال: فعلت حتى حصصت فيه، فسألها فقالت: لم يصنع شيئاً. فقال: خل سيئها.  
ينظر: ديوانه (١٩)، الألويسي ٢٥٩/١٢، اللسان: ص م م، حصص. الدر المصون ١٩١/٤.  
(٤) قال محمود: «لا مزيد على شهادتهنّ له بالبراءة واعترافهنّ على أنفسهنّ... الخ» قال أحمد: الصحيح من مذاهب أهل السنة تنزيه الأنبياء عن الكبائر والصغائر جميعاً، وتنبع الآي المشعرة بوقوع الصغائر بالتأويل. وذهب منهم طائفة مع القدرية إلى تجويز الصغائر عليهم، بشرط أن لا تكون منفرة. والصحيح عندنا في قصة يوسف عليه السلام أنه مبرأ عن الوقوع فيما يؤاخذ به، وإن =

بشيء مما قرفته به؛ لأنهنَّ خصومه، وإذا اعترف الخصم بأنَّ صاحبه على الحق وهو على الباطل، لم يبق لأحد مقال؛ وقالت المجبرة والحشوية<sup>(١)</sup>: نحن قد بقي لنا مقال، ولا بد لنا من أن ندق في فروة من ثبتت نزاهته.

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ ﴿٥٦﴾

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ﴾: من كلام يوسف<sup>(٢)</sup>، أي: ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة؛ ليعلم العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾: بظهر الغيب في حرمة، ومحل: ﴿بِالْغَيْبِ﴾: الحال<sup>(٣)</sup>، من الفاعل أو المفعول، على معنى: وأنا غائب عنه، خفي عن عينه، أو وهو غائب عني، خفي عن عيني، ويجوز أن يكون ظرفاً، أي: بمكان الغيب، وهو الخفاء والاستتار وراء الأبواب السبعة المغلقة، ﴿و﴾: ليعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾: لا ينفذه ولا يسدده، وكأنه تعريض بامراته في خيانتها أمانة زوجها، / ١٧١ اب وبه في خيانتها أمانة الله، حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه، ويجوز أن يكون تأكيداً لأمانته، وأنه لو كان خائناً، لما هدى الله كيده ولا سدده.

﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٥٧﴾

ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه؛ لئلا يكون لها مزكياً وبحالها في الأمانة معجباً ومفتخراً، كما قال رسول الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَوَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ» (٧٨٨) وليبين أن ما فيه من

٧٨٨ - ورد ذلك من حديث جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وعبد الله بن سلام.

الوقف عند قوله ﴿هَمَّتْ يَوْمَ﴾ ثم يبدأ ﴿وهم بها. لولا أن رأى برهان ربه﴾ كما تقوله. قتلت زيدا لولا أنني أخاف الله، فلا يكون الهم واقعاً لوجود المانع منه، وهو رؤية البرهان. فإن كان الزمخشري يعرض بأهل السنة فقد بينا معتقدهم، وإن كان يعرض بالمجبرة والحشوية حقيقة، فشأنه وإياهم.

(١) قوله: «وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد لنا من أن ندق في فروة» يريد أهل السنة وقوله نحن قد بقي لنا إلخ يعني أن حالهم في تفسير الهم والبرهان يمثل بذلك. والفروة: جلدة الرأس (ع).

(٢) عاد كلامه. قال: «وقوله ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ إلخ: من كلام يوسف عليه السلام والمعنى أن ذلك الجد في ظهور البراءة ليعلم... إلخ» قال أحمد: وإرادته لعموم الأحوال أدخل في تنزيهه، وأدل على أن الغرض بهذا الكلام التواضع منه والتبري من تزكية النفس، فهو أدل على هذا المعنى من حمله على الحادثة الخاصة والله أعلم (ع).

(٣) قوله: «ومحل بالغيب الحال من الفاعل» لعله محل الحال أو النصب على الحال.

الأمانة ليس به وحده؛ وإنما هو بتوفيق الله، ولطفه، وعصمته، فقال: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي﴾: من الزلل، وما أشهد لها بالبراءة الكلية ولا أزيها، ولا يخلو، إنا أن يريد في هذه الحادثة، لما ذكرنا من الهَم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية، لا عن طريق القصد والعزم، وإنا أن يريد به عموم الأحوال، ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾: أراد الجنس،

= فأما حديث أبي هريرة فرواه مسلم ١٧٨٢/٤ في الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (٢٢٧٨/٣)، وأبو داود ٦٣٠/٢ في السنة، باب في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (٤٦٧٣). وأحمد ٥٤٠/٢ والبغوي في شرح السنة ١١/٧ برقم (٣٥١٩) عنه مرفوعاً. «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة. وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع». وأما حديث أبي سعيد الخدري فرواه الترمذي ٢٨٨/٥ في التفسير، باب «ومن سورة بني إسرائيل» (٣١٤٨)، وفي المناقب، باب في فضل النبي ﷺ (٣٦١٥)، وابن ماجه ١٤٤٠/٢ في الزهد، باب ذكر الشفاعة (٤٣٠٨) عنه مرفوعاً «أنا سيد ولد آدم ولا فخر...». فذكره بنحو حديث أبي هريرة ورواه الترمذي في الموضوع الأول مطولاً.

وقال في الموضوعين: هذا حديث حسن صحيح.

وأما حديث أنس فرواه أحمد ١٤٤/٣ - ١٤٥، والدارمي ٢٧/١ - ٢٨ في المقدمة، باب ما أعطي النبي ﷺ من الفضل، وأبو يعلى واللفظ له (٤٣٠٥)، عنه مرفوعاً «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وأنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر، ولواء الحمد بيدي ولا فخر».

وأما حديث عبد الله بن سلام فرواه أبو يعلى (٧٤٩٣)، وابن جبان (٢١٢٧ - موارد) من طريق عمرو الناقد حدثنا عمرو بن عثمان الكلابي حدثنا موسى بن أعين عن معمر بن راشد عن محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن بشر بن شفاف عنه مرفوعاً. وذكره الهيثمي في المجمع ٢٥٧/٨ وقال: رواه أبو يعلى والطبراني، وفيه عمرو بن عثمان الكلابي، وثقه ابن جبان على ضعفه وبقيته رجاله ثقات. وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، دون قوله: «ولا فخر»، وذكره بإثباتها أبو نعيم في الدلائل، من رواية سهيل عن أبيه عنه في أثناء حديث. ورواه ابن أبي عاصم في الآداب له من حديث عائشة بإثباتها. وأخرجه ابن جبان من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ووائله وأبي بكر الصديق. ورواه الترمذي من رواية أبي نضرة عن أبي سعيد بلفظ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر...». الحديث وقال: حسن. ورواه بعضهم عن أبي نضرة بن عامر. وهو عند أحمد وأبي يعلى وأبي نعيم والبيهقي في الدلائل. وهما من طريق أبي نضرة قال: خطبنا ابن عباس على منبر البصرة فذكره. ولحديث ابن عباس طريق آخر أخرجه الدارقطني في الأفراد من رواية خارجة بن مصعب. وهو ضعيف عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، وأخرى عن ابن مردويه في أثناء حديث الإسراء بإسناد واه. وفي الباب عن عبادة بن الصامت عند الحاكم وإسناده منقطع، وعن أنس عن الزيار. وفيه مبارك بن سحيمة. وهو متروك، وعند أبي يعلى، وفيه زيادة بن ميمون البخري، وعن عبد الله بن سلام أخرجه أبو يعلى والطبراني من رواية بشر بن شفاف عنه. وهو معلول. والمحفوظ عن بشر بن شفاف عن عبد الله بن عمرو. وعن جابر أخرجه الحاكم. وفيه القاسم بن محمد بن عبد الله بن عقيل. وهو متروك. انتهى.

أي: إن هذا الجنس يأمر بالسوء، ويحمل عليه بما فيه من الشهوات، ﴿إِلَّا مَا رَجَمَ رَبِّي﴾: إلا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة، ويجوز أن يكون: (ما رحم): في معنى: الزمن، أي: إلا وقت رحمة ربي، يعني: أنها أمانة بالسوء في كل وقت وأوان، إلا وقت العصمة، ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً، أي: ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة؛ كقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُقَدَّرُونَ إِلَّا رَحْمَةً﴾ [يس: ٤٤]، وقيل معناه: ذلك ليعلم أنني لم أخنه؛ لأن المعصية خيانه، وقيل: هو من كلام امرأة العزيز<sup>(١)</sup>، أي: ذلك الذي قلت: ليعلم يوسف أنني لم أخنه، ولم أكذب عليه في حال الغيبة، وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه، وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة؛ فإني قد خنته حين قرفته<sup>(٢)</sup>، وقلت: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن وأودعته السجن - تريد الاعتذار مما كان منها - إن كل نفس لأمانة بالسوء إلا ما رحم ربي: إلا نفساً رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف، ﴿إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: استغفرت ربها واسترحمتها مما ارتكبت.

فإن قلت: كيف صح أن يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك؟

قلت: كفى بالمعنى دليلاً قائداً<sup>(٣)</sup> إلى أن يجعل من كلامه؛ ونحوه قوله: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ كلام فرعون ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ [١٩] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِكَ﴾ [الأعراف: ١٠٩ - ١١٠] بسحره، ثم قال ﴿فَمَآذَا تَأْمُرُونَ﴾: وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم، وعن ابن جريج: هذا من تقديم القرآن وتأخيرها، ذهب إلى أن: (ذلك ليعلم): متصل بقوله: ﴿فَسئَلَهُ مَا بَأَلِ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَبْرِيهِنَّ﴾ [يوسف: ٥٠]، ولقد لفقت المبطله<sup>(٤)</sup> روايات مصنوعة<sup>(٥)</sup>؛ فزعموا أن يوسف حين قال: ﴿أَنِّي لَمْ أَخْنُهَا بِالْغَيْبِ﴾: قال له جبريل: ولا حين

(١) عاد كلامه. قال: «وقيل ذلك كله كلام امرأة العزيز أي ذلك الذي قلت... إلخ» قال أحمد: وإنما يجري الكلام على هذا الوجه إذا ألجأ إليه محوج، كقوله ﴿فَمَآذَا تَأْمُرُونَ﴾ إذ لا يمكن جعله من قول الملا بوجهه، فتعين أن يصرف الضمير عنه إلى فرعون. وأما هذه الآية فهي تتلو قوله ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَمَنَ الْقَدِيقِينَ﴾ إلى ما قبل ذلك من الضمانات العائدة إلى يوسف عليه السلام قطعاً، ولا ضرورة تدعو إلى حمل الضمير في (ليعلم) على العزيز وجعله من كلام يوسف، وقد تضمنته الآية المصدرة بقول زليخا، وذلك قوله ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ وفي سياق الآية ما يرشد إلى أن هذا القول جرى منها ويوسف عليه السلام بعد في السجن لم يحضر إلى الملك، وأنه لما تحتمت براءته بقولها بعث يخرجها من السجن، فذلك قوله ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِوَيْهِ اسْتَنْصَحْهُ لِغَيْبِ﴾.

(٢) قوله: «حين قرفته» أي اتهمته (ع).

(٣) قوله: «دليلاً قائداً» أي مؤدياً (ع).

(٤) قوله: «ولقد لفقت المبطله روايات مصنوعة» يريد أهل السنة الذين سماهم المجبرة فيما مر (ع).

(٥) عاد كلامه. قال: «ولقد لفقت المبطله روايات مصنوعة... إلخ» قال أحمد: ولقد صدق في التوريك على نقله هذه الزيادات بالبهت، وذلك شأن المبطله من كل طائفة، كما لفقت القدرية على =

همتت بها، وقالت له امرأة العزيز: ولا حين حلت تكة سراويلك يا يوسف؛ وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله<sup>(١)</sup>.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَنْوِي بِهِ؟ اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾﴾

يقال: استخلصه واستخصه، إذا جعله خالصاً لنفسه وخاصاً به، ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾: وشاهد منه ما لم يحتسب، ﴿قَالَ﴾: أيها الصديق، ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾: ذو مكانة ومنزلة، ﴿أَمِينٌ﴾: مؤتمن على كل شيء، روي أن الرسول جاءه فقال: أجب الملك، فخرج من السجن ودعا لأهله، «اللهم، أعطف عليهم قلوب الأخيار، ولا تعم عليهم الأخبار، فهم أعلم الناس بالأخبار في الواقعات»، وكتب على باب السجن: هذه منازل البلوى<sup>(٢)</sup>، وقبور الأحياء، وشماتة الأعداء، وتجربة الأصدقاء، ثم اغتسل وتظف من درن السجن، وليس ثياباً جديداً<sup>(٣)</sup>، فلما دخل على الملك، قال: «اللهم، إني أسألك بخيرك من خيره، وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره، ثم سلم عليه، ودعا له بالعبرانية، فقال: ما هذا اللسان؟ قال: لسان آبائي، وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً، فكلمه بها، فأجابه بجميعها، فتعجب منه، وقال: أيها الصديق، إني أحب أن أسمع رؤياي منك، فقال: رأيت بقرات فوصف لونهن وأحوالهن ومكان خروجهن، ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك لا يخرم منها حرفاً، وقال له: من حقت أن تجمع الطعام في الأهراء<sup>(٤)</sup>، فيأتيك الخلق من النواحي يمتارون منك، ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك.

﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ﴿٥٥﴾﴾

﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾: ولني خزائن أرضك، ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ﴾: أمين أحفظ ما تستحفظنيه، عالم بوجوه التصرف؛ وصفاً لنفسه بالأمانة والكفاية اللتين هما طلبه الملوك ممن يولونه؛ وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله تعالى، وإقامة الحق، وبسط

= قصة موسى حين طلب الرؤية وخر صعقاً أن الملائكة جعلت تلكزه بأرجلها وتقول: يا ابن النساء الحيفض طمعت في رؤية رب العزة، كل ذلك لئتم لهم غرضهم في أنه طلب محالاً في العقول على الله تعالى، ويحق الله الحق بكلماته ويبطل الباطل، والله الموفق.

(١) قوله: «وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله» أي اتهمهم بما لم يفعله. أفاده الصحاح (ع).

(٢) قوله: «البلوى» عبارة النسفي البلواء (ع).

(٣) قوله: «ولبس ثياباً جديداً» في الصحاح: جديد وجدد، كسرير وسرر (ع).

(٤) قوله: «أن تجمع الطعام في الأهراء» كذا عبارة النسفي أيضاً ولكنه ليس في الصحاح بل الذي فيه هراء البرد يهراه هراً أي اشتد عليه حتى كاد يقتله وهري المال وهري القوم فهم مهروون اهد فأصل الإهراء مواضع يشتد فيها البرد (ع).

العدل، والتمكن مما لأجله تبعث الأنبياء إلى العباد، ولعلمه أن أحداً غيره لا يقوم مقامه في ذلك، فطلب التولية؛ ابتغاء وجه الله، لا لحب الملك والدنيا، وعن النبي ﷺ: «رَجِمَ اللهُ أَخِي يُوسُفَ، لَوْ لَمْ يَقُلْ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ، لَأَسْتَعْمَلَهُ مِنْ سَاعَتِهِ، وَلَكِنَّهُ آخَرَ ذَلِكَ سَنَةً» (٧٨٩).

فإن قلت: كيف جاز أن يتولى عملاً من يد كافر، ويكون تبعاً له، وتحت أمره وطاعته؟

قلت: روى مجاهد أنه كان قد أسلم، وعن قتادة: هو دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عملاً من يد سلطان جائر، وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه، وإذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق، فله أن يستظهر به، وقيل: كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى، فكان في حكم التابع له والمطيع.

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وَكَذَلِكَ﴾: ومثل ذلك التمكين الظاهر، ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾: في أرض مصر، روي أنها كانت أربعين فرسخاً في أربعين، ﴿يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾: قرى: بالنون والباء، أي: كل مكان أراد أن يتخذ منزلاً ومتبواً له؛ لم يمنع منه؛ لاستيلائه على جميعها ودخوله تحت ملكته وسلطانه، روي أن الملك توجه، وختمه بخاتمه، ورداه بسيفه، ووضع له سريراً من ذهب مكللاً بالدرّ والياقوت، روي أنه قال له: أما السرير: فأشدّ به ملكك، وأما الخاتم: فأدبر به / ١٧٢ أمرك، وأما التاج: فليس من لباسي ولا لباس آبائي، فقال: قد وضعت إجلالاً لك، وإقراراً بفضلك، فجلس على السرير وهانت له الملوك، وفوض الملك إليه أمره، وعزل قطفير، ثم مات بعده، فزوجه الملك امرأته زليخا، فلما دخل عليها قال: أليس هذا خيراً مما طلبت؟ فوجدها عذراء، فولدت له ولدين: إفرائيم وميشا، وأقام العدل

٧٨٩ - أخرجه الواحدي في «الوسيط» (٦١٨/٢ - بتحقيقنا) أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد الثقفى نا مخلد بن جعفر نا الحسن بن علوية نا إسماعيل بن عيسى نا إسحاق بن بشر عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعاً.  
وقال الحافظ في «تخريج الكشاف»: أخرجه الثعلبي عن ابن عباس من رواية إسحاق بن بشير عن جوير عن الضحاك عنه، وهذا إسناد ساقط. انتهى.

بمصر، وأحبته الرجال والنساء، وأسلم على يديه الملك، وكثير من الناس، وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدرهم في السنة الأولى حتى لم يبق معهم شيء منها، ثم بالحلي والجواهر، ثم بالدواب، ثم بالضياع والعقار، ثم برقابهم حتى استرقهم جميعاً، فقالوا: والله، ما رأينا كالיום ملكاً أجلاً ولا أعظم منه، فقال للملك: كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني فما ترى؟ قال: الرأي رأيك، قال: فإني أشهد الله وأشهدك أنني أعتقت أهل مصر عن آخرهم، ورددت عليهم أملاكهم، وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل بعير؛ تقسيطاً بين الناس، وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام نحو ما أصاب أرض مصر، فأرسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتسب بنيامين، ﴿بِرَحْمَتِنَا﴾: بعبائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم، ﴿مَنْ نَشَاءُ﴾: من اقتضت الحكمة أن نشاء له ذلك، ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾: أن نأجرهم في الدنيا.

﴿وَلَا جُرْ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٥٧)

﴿وَلَا جُرْ الْآخِرَةَ خَيْرٌ﴾: لهم، قال سفيان بن عيينة: المؤمن: يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة، والفاجر: يعجل له الخير في الدنيا، وما له في الآخرة من خلاق، وتلا هذه الآية.

﴿وَجَاءَ إِخْوَةَ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (٥٨)

لم يعرفوه؛ لطول العهد<sup>(١)</sup>، ومفارقتهم إياهم في سن الحداثة، ولاعتقادهم أنه قد هلك، ولذهابه عن أوهامهم؛ لقلّة فكرهم فيه واهتمامهم بشأنه، ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله. التي فارقه عليها طريحاً في البئر، مشرياً بدرهم معدودة، حتى لو تخيل لهم أنه هو لكذبوا أنفسهم وظنونهم، ولأنّ الملك مما يبذل الزيت ويلبس صاحبه من التهيّب والاستعظام ما ينكر له المعروف، وقيل: رأوه على زيّ فرعون<sup>(٢)</sup>: عليه ثياب الحرير، جالساً على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج، فما خطر ببالهم أنه هو، وقيل: ما رأوه إلا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب، وما وقفوا إلا حيث يقف طلاب الحوائج؛ وإنما عرفهم؛ لأنه فارقه وهم رجال ورأى زيهم قريباً من زيهم إذ

(١) قال محمود: «إنما أنكروه لبعده العهد وتغيير الصورة... إلخ» قال أحمد: وتوارد القاديين في دخولهم عليه ومعرفة لهم عند ذلك، تدل على أن مجرد دخولهم عليه استعقبته المعرفة بلا مهلة، والله أعلم.

(٢) قوله: «وقيل رأوه على زي فرعون» إن أريد فرعون موسى، فلم يكن قد وجد. وعبارة الخازن: زي ملوك مصر عليه ثياب... إلخ (ع).

ذاك، ولأن همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم، فكان يتأمل ويتفطن، وعن الحسن: ما عرفهم حتى تعرفوا له.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ الْآلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَفِيلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرُبُونِ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ﴾ أي: أصلحهم بعدتهم، وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج إليه المسافرون، وأوقر ركائبهم بما جاؤوا من الميرة، وقرئ: (بجهازهم): بكسر الجيم، ﴿وَالْآلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَفِيلَ﴾: لا بد من مقدمة سبقت له معهم، حتى اجتر القول هذه المسألة، روي أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية، قال لهم: أخبروني من أنتم وما شأنكم؟ فأني أنكركم، قالوا: نحن قوم من أهل الشام رعاة، أصابنا الجهد فجتنا نمثار، فقال: لعنكم جنتم عيوناً تنظرون عورة بلادي؟ قالوا: معاذ الله، نحن إخوة بنو أب واحد، وهو شيخ صديق نبي من الأنبياء، اسمه: يعقوب، قال: كم أنتم؟ قالوا: كنا اثني عشر، فهلك منا واحد، قال: فكم أنتم ههنا؟ قالوا: عشرة، قال: فأين الأخ الحادي عشر؟ قالوا: هو عند أبيه يتسلى به من الهالك، قال: فمن يشهد لكم أنكم لستم بعيون وأن الذي تقولون حق؟ قالوا: إنا ببلاد لا يعرفنا فيها أحد فيشهد لنا، قال: فدعوا بعضكم عندي رهينة واتنوني بأخيكم من أبيكم، وهو يحمل رسالة من أبيكم حتى أصدقكم، فاقترعوا بينهم فأصاب القرعة شمعون - وكان أحسنهم رأياً في يوسف - فخلفوه عنده، وكان قد أحسن إنزالهم وضيافتهم، ﴿وَلَا تَقْرُبُونِ﴾: فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون داخلاً في حكم الجزاء مجزوماً، عطفاً على محل قوله: ﴿فَلَا كَيْلَ لَكُمْ﴾ كأنه قيل: فإن لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا، وأن يكون بمعنى النهي.

﴿قَالُوا سُرُودٌ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿سُرُودٌ عَنْهُ أَبَاهُ﴾: سنخادعه عنه، وسنجهده ونحتال حتى نتزعه من يده، ﴿وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾: وإنا لقادرون على ذلك لانتعابى به، أو: وإنا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى.

﴿وَقَالَ لِفَتْنِهِ أَجْمَلُوا بِضَعْفَتِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿لِفَتْنِهِ﴾، وقرئ: (لفتيته)، وهما جمع فتى، كإخوة وإخوان في أخ، و«فعله»:

للقلة، و«فعلان»: للكثرة، أي: لغلمانه الكياليين، ﴿لَقَالَهُمْ بِعَرِفُونَهَا﴾: لعلمهم يعرفون حق رذها وحق التكرّم بإعطاء البدلين، ﴿إِذَا أَنْفَكَبُوا إِلَيَّ أَهْلِيكُمْ﴾: وفرغوا ظروفهم، ﴿لَقَالَهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا، وكانت بضاعتهم النعال والأدم، وقيل: تخوّف ألاً يكون عند أبيه من المتاع ما يرجعون به، وقيل: لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمناً، وقيل: علم أن ديانتهم تحملهم على ردّ البضاعة لا يستحلون إمساكها فيرجعون لأجلها، وقيل: معنى ﴿لَقَالَهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: لعلمهم يردونها.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَيَّ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَكُلِّ لَحْفِظُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ يريدون: قول يوسف، فإن لم تأتوني به، فلا كيل لكم عندي؛ لأنهم إذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل، ﴿نَكْتَلُ﴾: نرفع المانع من الكيل، ونكتل من الطعام ما نحتاج إليه، وقرئ: (يكتل)، بمعنى: يكتل، أخونا، فينضم اكتياله إلى اكتيالتنا، أو يكن سبباً للاكتيال، فإن امتناعه بسببه.

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ يريد: أنكم قلتم في يوسف، ﴿وَإِنَّا لَكُلِّ لَحْفِظُونَ﴾: كما تقولونه في أخيه، ثم ختمتم بضمانكم، فما يؤمنني من مثل ذلك، ثم قال: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾: فتوكل على الله فيه ودفعه إليهم، و(حافظاً): تمييز؛ كقولك: هو خيرهم رجلاً، والله ذره فارساً، ويجوز أن يكون حالاً، وقرئ: (حفظاً)، وقرأ الأعمش: فالله خير حافظ، وقرأ أبو هريرة: خير الحافظين، ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾: فأرجو أن ينعم عليّ بحفظه ولا يجمع عليّ/ ١٧٢ ب مصيبتين.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتْعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبُغِي هَذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانًا وَزَادَادٌ كَيْلٌ بَعِيرٌ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

وقرئ: (ردت إلينا): بالكسر، على أن كسرة الدال المدغمة نقلت إلى الراء، كما في: قيل وبيع، وحكى قطرب ضرب زيد، على نقل كسرة الراء فيمن سكنها إلى الضاد، ﴿مَا نَبُغِي﴾: للنفي، أي: ما نبغي في القول، وما نتزيد فيما وصفنا لك من إحسان الملك وإكرامه، وكانوا قالوا له: إنا قدمنا على خير رجل، أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلاً من

آل يعقوب ما أكرمنا كرامته، أو ما نبتغي شيئاً وراء ما فعل بنا من الإحسان، أو على الاستفهام، بمعنى: أي شيء نطلب وراء هذا؟ وفي قراءة ابن مسعود: «ما تبغي»: بالتاء على مخاطبة يعقوب، معناه: أي شيء نطلب وراء هذا من الإحسان، أو من الشاهد على صدقنا؟ وقيل: معناه: ما نريد منك بضاعة أخرى، وقوله: ﴿هَذِهِ يَضَعُنَا رَدَّتْ إِلَيْنَا﴾: جملة مستأنفة موضحة لقوله: (ما نبغي)، والجملة بعدها معطوفة عليها، على معنى: إن بضاعتنا ردت إلينا، فنستظهر بها، ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: في رجوعنا إلى الملك، ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾: فما يصيبه شيء مما تخافه، ونزداد باستصحاب أخينا وسق بعير زائداً على أوساق أباعرنا، فأبي شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها أحوالنا ونوسع ذات أيدينا؟ وإنما قالوا: ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾: لما ذكرنا أنه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقيط.

فإن قلت: هذا إذا فسرت البغي بالطلب، فأما إذا فسرت بالكذب والتزيد في القول، كانت الجملة الأولى وهي قوله: ﴿هَذِهِ يَضَعُنَا رَدَّتْ إِلَيْنَا﴾: بياناً لصدقهم، وانتفاء التزيد عن قيلهم، فما تصنع بالجملة البوآقي؟

قلت: أعطفها على قوله: (ما نبغي): على معنى: لا نبغي فيما نقول، ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: ونفعل كيت وكيت، ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ؛ كقولك: وينبغي أن نمير أهلنا، كما تقول: سعت في حاجة فلان، واجتهدت في تحصيل غرضه، ويجب أن أسعى، وينبغي لي ألا أقصر، ويجوز أن يراد: ما نبغي، وما نطق إلا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع أخينا، ثم قالوا: هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير أهلنا ونفعل ونصنع؛ بياناً لأنهم لا يبغون في رأيهم وأنهم مصيبون فيه، وهو وجه حسن واضح، ﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ أي: ذلك مكيل قليل لا يكفيننا، يعنون: ما يكال لهم، فأرادوا أن يزدادوا إليه ما يكال لأخيهم، أو يكون ذلك إشارة إلى كيل بعير، أي: ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا إليه الملك ولا يضايقنا فيه، أو سهل عليه متيسر لا يتعاضمه، ويجوز أن يكون من كلام يعقوب، وأن حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد؛ كقوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ [يوسف: ٥٢] <sup>(١)</sup>.

﴿قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنِّي بِهِ إِلاَّ أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾

(١) قوله: «كقوله ذلك ليعلم» هل المراد أن جواز كونه من كلام يعقوب، لأن المعنى يؤدي إليه، كما جاز في قوله تعالى ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ كونه من كلام يوسف؛ لأن المعنى يقود إليه، فتدبر (ع).

﴿لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ﴾: مناف لحالي<sup>(١)</sup> - وقد رأيت منكم ما رأيت - إرساله معكم، ﴿حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾: حتى تعطوني ما أتوثق به من عند الله، أراد أن يحلفوا له بالله؛ وإنما جعل الحلف بالله موثقاً منه لأن الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد، وقد أذن الله في ذلك فهو إذن منه، ﴿لَتَأْتُنِّي بِهِ﴾: جواب اليمين؛ لأن المعنى: حتى تحلفوا لتأتني به، ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾: إلا أن تغلبوا<sup>(٢)</sup> فلم تطبقوا الإتيان به، أو إلا أن تهلكوا.

فإن قلت: أخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه إشكال؟

قلت: (أن يحاط بكم): مفعول له، والكلام المثبت الذي هو قوله: (لتأتني به) في تأويل النفي، معناه: لا تمتنعون من الإتيان به إلا للإحاطة بكم، أي: لا تمتنعون منه لعللة من العلل إلا لعللة واحدة: وهي أن يحاط بكم، فهو استثناء من أعم العام في المفعول له، والاستثناء من أعم العام لا يكون إلا في النفي وحده، فلا بد من تأويله بالنفي؛ ونظيره من الإثبات المتأول بمعنى النفي قولهم: أقسمت بالله لما فعلت وإلا فعلت، تريد: ما أطلب منك إلا الفعل، ﴿عَلَى مَا نَقُولُ﴾: من طلب الموثق وإعطائه، ﴿وَكَيْلٌ﴾: رقيب مطلع.

﴿وَقَالَ يَبْنَى لَآ تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِن أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٧﴾﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لُدُو عَلِيمٌ لِّمَا عَلَّمَنَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾

(١) قال محمود: «معناه أن إرساله معكم مناف... إلخ» قال أحمد: لن للنفي المؤكد. وأما قول الزمخشري في المنافاة له، فله وراء ذلك غرض إنما يطلع عليه من قتل كلامه علماً، وذلك أنه اعتمد في إحالة الرؤية على الله تعالى، على أن قوله تعالى ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ معناه أن الرؤية منافية لحالي، وجعل هذه المنافاة من مقتضى (لن) ثم التزم ذلك في هذه اللفظة جيشاً وقعت، كل ذلك لتمرن الأذهان على أن هذا مقتضى (لن) وقد سبق وجه الرد عليه في ذلك.

(٢) عاد كلامه. قال: «وقوله ﴿لَتَأْتُنِّي بِهِ﴾ إلا أن يحاط بكم» معناه إلا أن تغلبوا فلا تطبقوا الإتيان... إلخ» قال أحمد: وإنما اختص هذا النوع من الاستثناء بالنفي، لأن المستثنى منه مسكوت عنه، والنفي عام، إذ يلزم من نفي الإتيان مثلاً نفي جميع العوارض اللاحقة به ضرورة، فكانه لعمومه مقرون بذكر المستثنى منه، ولا كذلك الإتيان؛ فإنه لا إشعار له بعموم الأحوال؛ لأنه لا يتوقف إلا على أحدها، والله أعلم. ولقد صدقت هذه القصة المثل السائر، وهو قولهم «البلاء موكل بالمنطق» فإن يعقوب عليه السلام قال أولاً في حق يوسف: وأخاف أن يأكله الذئب، فابتلي من ناحية هذا القول. وقال ههنا ثانياً: إلا أن يحاط بكم، أي تغلبوا عليه، فابتلي أيضاً بذلك، وأحيط بهم، وغلبوا عليه.

وإنما نهاهم أن يدخلوا من باب واحد؛ لأنهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة<sup>(١)</sup>، اشتهرهم أهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم، فكانوا مظنة لطموح الأبصار إليهم من بين الوفود، وأن يشار إليهم بالأصابع، وقال هؤلاء أضياف الملك، انظروا إليهم ما أحسنهم من فتیان، وما أحقهم بالإكرام، لأمر ما أكرمهم الملك، وقربهم، وفضلهم على الوافدين عليه، فخاف لذلك أن يدخلوا كوكبة واحدة، فيعانوا لجمالهم وجلالة أمرهم في الصدور، فيصيبهم ما يسوؤهم؛ ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكزة الأولى؛ لأنهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس.

فإن قلت: هل للإصابة بالعين وجه تصح عليه؟

قلت: يجوز أن يحدث الله - عز وجل - عند النظر إلى الشيء والإعجاب به، نقصاناً فيه وخللاً من بعض الوجوه، ويكون ذلك ابتلاء من الله، وامتحاناً لعباده، لتمييز المحققون من أهل الحشو<sup>(٢)</sup>، فيقول المحقق: هذا فعل الله، ويقول الحشوي: هو أثر العين؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المدثر: ٣١]، الآية، وعن النبي ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ يَعُوذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَيَقُولُ: أُعِيدُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ... مِنْ كُلِّ عَيْنٍ لِأُمَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَةٍ» (٧٩٠)، ﴿وما أغني عنكم من الله من شيء﴾ يعني: إن أراد الله بكم سوءاً، لم ينفعكم، ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من التفرق، وهو مصيبكم لا محالة، ﴿إِنَّ أَلْحَكُمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، ثم قال: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ أي: متفرقين، ﴿مَا

٧٩٠ - أخرجه البخاري (٦١/٧) كتاب أحاديث الأنبياء باب (١٠) حديث (٣٣٧١) وأبو داود (٢٣٥/٤) كتاب السنة: باب في القرآن حديث (٤٧٣٧) والترمذي (٣٩٦/٤) كتاب الطب: باب (١٨) حديث (٢٠٦٠) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٠٦، ١٠٠٧) وابن ماجه (١١٦٤/٢) كتاب الطب: باب ما عوذ به النبي ﷺ حديث (٣٥٢٥) وأحمد (٢٣٦/١، ٢٧٠) وابن أبي شيبة (٤٨/٧، ١٠/٣١٥) وابن جبان (١٠١٢، ١٠١٣) من طريق سعيد بن جبیر عن ابن عباس مرفوعاً. وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه البخاري وأصحاب السنن من رواية المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس هذا وأتم منه. انتهى.

(١) قوله: «كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة اشتهرهم» في الصحاح: الشارة: اللباس والهيئة. وفيه. اشتهر الأمر، أي وضع. ولفلان فضيلة اشتهرها الناس (ع).

(٢) قوله: «لتمييز المحققون من أهل الحشو» إن كان مراده أهل السنة، فهم يقولون: تأثير العين من قبيل ربط الأسباب بالمسببات، كربط النار بالإحراق، فالسبب مؤثر في الظاهر، والله هو الفاعل في الحقيقة. قال النسفي: وأنكر الجبائي العين اهـ وهو من مشايخ المعتزلة (ع).

كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ ﴿٦٥﴾ رَأَى يَعْقُوبَ وَدَخَلَهُمْ مَتَرَفَيْنِ شَيْئًا قَطًّا؛ حَيْثُ أَصَابَهُمْ مَا سَاءَ لَهُمْ مَعَ تَفَرُّقِهِمْ، مِنْ إِضَافَةِ السَّرْقَةِ إِلَيْهِمْ وَافْتِضَاحِهِمْ بِذَلِكَ، وَأَخَذَ أَخِيهِمْ بَوُجْدَانِ الصَّوَاعِ فِي رِحْلِهِ، وَتَضَاعَفَ الْمَصِيبَةُ عَلَى أَبِيهِمْ، ﴿إِلَّا حَاجَةً﴾: اسْتِثْنَاءٌ مَنْقُطَعٌ، عَلَى مَعْنَى: وَلَكِنْ حَاجَةٌ، ﴿فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَصَهَا﴾: وَهِيَ شَفِيقَتُهُ عَلَيْهِمْ، وَإِظْهَارُهَا/ ١٧٣٣ بِمَا قَالَ لَهُمْ وَوَصَاهُمْ بِهِ، ﴿وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ﴾ يَعْنِي قَوْلَهُ: (وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ)، وَعَلِمَهُ أَنَّ الْقَدْرَ لَا يَغْنِي عَنْهُ الْحَذَرُ.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَىٰٓ أَخِيهِ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾

﴿ءَاوَىٰٓ إِلَىٰٓ أَخِيهِ﴾: ضَمُّهُ إِلَيْهِ بِنِيَامِينِ، وَرَوَى أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ: هَذَا أَخُونَا قَدْ جِئْنَاكَ بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَحْسَنْتُمْ وَأَصْبَبْتُمْ، وَسَتَجِدُونَ ذَلِكَ عِنْدِي، فَانزَلَهُمْ وَأَكْرَمَهُمْ، ثُمَّ أَضَافَهُمْ وَأَجْلَسَ كُلَّ اثْنَيْنِ مِنْهُمْ عَلَى مَائِدَةٍ، فَبَقِيَ بِنِيَامِينِ وَحَدَهُ، فَبَكَى وَقَالَ: لَوْ كَانَ أَخِي يُوسُفَ حَيًّا لَأَجْلَسَنِي مَعَهُ، فَقَالَ يُوسُفُ: بَقِيَ أَخُوكُمْ وَحِيدًا، فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى مَائِدَتِهِ وَجَعَلَ يُوَاكِلُهُ، قَالَ: أَنْتُمْ عَشْرَةٌ فَلِيَنْزِلَ كُلُّ اثْنَيْنِ مِنْكُمْ بَيْتًا، وَهَذَا لَا ثَانِي لَهُ فَيَكُونُ مَعِي، فَبَاتَ يُوسُفُ يَضُمُهُ إِلَيْهِ وَيَشْمُ رَائِحَتَهُ حَتَّى أَصْبَحَ، وَسَأَلَهُ عَنْ وَلَدِهِ؟ فَقَالَ: لِي عَشْرَةٌ بَنِينَ اشْتَقَقْتُ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ اسْمِ أَخٍ لِي هَلَكَ، فَقَالَ لَهُ: أَنْحَبُ أَنْ أَكُونَ أَخَاكَ بِدَلِّ أَخِيكَ الْهَالِكِ؟ قَالَ: مَنْ يَجِدُ أَخًا مِثْلَكَ، وَلَكِنْ لَمْ يَلِدْكَ يَعْقُوبُ وَلَا رَاحِيلُ، فَبَكَى يُوسُفُ، وَقَامَ إِلَيْهِ، وَعَانَقَهُ، وَقَالَ لَهُ: ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾: يُوسُفُ، ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: فَلَا تَحْزَنْ، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: بِنَا فِيْمَا مَضَى؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا وَجَمَعَنَا عَلَى خَيْرٍ، وَلَا تَعْلَمُهُمْ بِمَا أَعْلَمْتُكَ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: تَعَرَّفَ إِلَيْهِ، وَعَنْ وَهْبٍ: إِنَّمَا قَالَ لَهُ: أَنَا أَخُوكَ بِدَلِّ أَخِيكَ الْمَفْقُودِ، فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كُنْتَ تَلْقَى مِنْهُمْ مِنَ الْحَسَدِ وَالْأَذَى فَقَدْ أَمْتَهُمْ، وَرَوَى أَنَّهُ قَالَ لَهُ: أَنَا لَا أَفَارِقُكَ، قَالَ: قَدْ عَلِمْتَ اغْتِمَامَ وَالِدِي بِي، فَإِذَا حَبَسْتُكَ أَزْدَادَ غَمِّهِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا أَنْ أُنْسَبَكَ إِلَى مَا لَا يَجْمَلُ، قَالَ: لَا أَبَالِي فَا فَعَلْ مَا بَدَأَ لَكَ، قَالَ: فَإِنِّي أَدَسُ صَاعِي فِي رِحْلِكَ، ثُمَّ أَنَادَى عَلَيْكَ بِأَنَّكَ قَدْ سَرَقْتَهُ، لِيْتَهِيَ لِي رَدُّكَ بَعْدَ تَسْرِيحِكَ مَعَهُمْ، قَالَ: أَفْعَلْ.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ، حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾

﴿السَّقَايَةَ﴾: مشربة يسقى بها وهي الصواع، قيل: كان يسقى بها الملك، ثم جعلت صاعاً يكال به، وقيل: كانت الدواب تسقى بها ويكال بها، وقيل: كانت إناء مستطيلاً يشبه المكوك، وقيل: هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه تشرب به الأعاجم، وقيل: كانت من فضة مموهة بالذهب، وقيل: كانت من ذهب، وقيل: كانت مرصعة بالجواهر، ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: ثم نادى مناد، يقال: آذنه أعلمه، وأذن: أكثر الإعلام، ومنه المؤذن؛ لكثرة ذلك منه، روي: أنهم ارتحلوا، وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا، ثم أمر بهم فأدركوا وحبسوا، ثم قيل لهم ذلك، والعيير: الإبل التي عليها الأحمال؛ لأنها تعير: أي: تذهب وتجيء، وقيل: هي قافلة الحمير، ثم كثر حتى قيل لكل قافلة: عير، كأنها جمع عير، وأصلها: فعل كسقف وسقف، فعل به ما فعل ببيض وعيد<sup>(١)</sup>، والمراد: أصحاب العير؛ كقوله: يا خيل الله اركني، وقرأ ابن مسعود: «وجعل السقاية»: على حذف جواب لما، كأنه قيل: فلما جهزهم بجهازهم، وجعل السقاية في رحل أخيه، أمهلهم حتى انطلقوا، ثم أذن مؤذن، وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: «تفقدون»: من أفقدته إذا وجدته فقيداً، وقرئ: صواع، وصاع، وصوع، وصوع: بفتح الصاد وضمها، والعين معجمة وغير معجمة، ﴿وَأَنَا بِهِ رَعِيءٌ﴾: يقوله المؤذن، يريد: وأنا بحمل البعير كفيل، أُؤذيه إلى من جاء به، وأراد وسق بعير من طعام جعلاً لمن حصله.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ (٧٦)

﴿تَاللَّهِ﴾: قسم فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم؛ وإنما قالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾: فاستشهدوا بعلمهم، لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم في كرتي مجيئهم ومداختهم للملك، ولأنهم دخلوا وأفواه رواحلهم مكعومة<sup>(٢)</sup>؛ لئلا تتناول زرعاً أو طعاماً لأحد من أهل السوق، ولأنهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم، ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾: وما كنا قط نوصف بالسرقة، وهي منافية لحالنا.

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاءُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ (٧٧) ﴿قَالُوا جَزَاءُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾

كَذَلِكَ نُجَزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾

﴿فَمَا جَزَاءُكُمْ﴾: الضمير: للصواع، أي: فما جزاء سرقته، ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾: في

(١) قوله: «ما فعل ببيض وعيد» لعله: وغيد، بإعجام الغين، وهو جمع غيداء أي ناعمة. أو أغيد، بمعنى وسنان مائل العنق، كذا في الصحاح، فليحرف لفظ المصنف (ع).

(٢) قوله: «وأفواه رواحلهم مكعومة» يقال: كعمت البعير، إذا شددت فمه بالكعام، وهو شيء يجعل في فم البعير عند هياجه، كذا في الصحاح. (ع)

جحدوكم وادعائكم البراءة منه، ﴿قَالُوا جَزَاءُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ أي: جزاء سرقة أخذ من وجد في رحله، وكان حكم السارق في آل يعقوب أن يسترق سنة؛ فلذلك استفتوا في جزائه، وقولهم: ﴿فَهُوَ جَزَاءُ﴾: تقرير للحكم، أي: فأخذ السارق نفسه وهو جزاؤه لا غير؛ كقولك: حق زيد أن يكسى ويطعم وينعم عليه، فذلك حقه، أي: فهو حقه؛ لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه<sup>(١)</sup>، ويجوز أن يكون: (جزاؤه): مبتدأ، والجملة الشرطية كما هي خبره، على إقامة الظاهر فيها مقام المضمرة، والأصل: جزاؤه من وجد في رحله فهو هو، فوضع الجزاء موضع هو، كما تقول لصاحبك: من أخو زيد؟ فيقول لك: أخوه من يقعد إلى جنبه، فهو هو، يرجع الضمير الأول: إلى من، والثاني: إلى الأخ، ثم نقول: «فهو أخوه»: مقيماً للمظهر مقام المضمرة، ويحتمل أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف، أي: المسؤول عنه جزاؤه، ثم أفتوا بقولهم: من وجد في رحله فهو جزاؤه، كما يقول: من يستفتي في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم، ثم يقول: ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾<sup>(٢)</sup> [المائدة: ٩٥].

﴿بَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

﴿بَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ﴾: قيل: قال لهم من وكل بهم: لا بد من تفتيش أوعيتكم، فانصرف بهم إلى يوسف، فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين؛ لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه، فقال: ما أظن هذا أخذ شيئاً، فقالوا: والله، لا تتركه حتى تنظر في رحله؛ فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا، فاستخرجوه منه، وقرأ الحسن: «وعاء أخيه»: بضم الواو، وهي لغة، وقرأ سعيد بن جبيرة: «إعاء أخيه»: بقلب الواو همزة.

فإن قلت: لم ذكر ضمير الصواع مرّات ثم أنه؟

- (١) قوله: «من استحقاقه وتلزمه». ويجوز أن يكون جزاؤه مبتدأ، سيذكر أن حكم السارق في دين ملك مصر: أن يغرّم مثلي ما أخذ، لا أن يلزم ويستعبد (ع).
- (٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهو متكلف، إذ تصوير الجملة من قوله: «المسؤول عنه جزاؤه»، على هذا التقدير ليس فيه كبير فائدة، إذ قد علم من قوله: «فَمَا جَزَاؤُهُ»، أَنَّ الشَّيْءَ الْمَسْئُولَ عَنْهُ جَزَاءُ سَرَقَتِهِ، فَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي نَطْقِهِمْ بِذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْمِثَالِ الَّذِي مِثْلُ بِهِ مِنْ قَوْلِ الْمُسْتَفْتَى». قُلْتُ: قوله: «ليس فيه كبير فائدة» ممنوع، بل فيه فائدة الإضمار المذكور في علم البيان، وفي القرآن أمثال ذلك. انتهى. الدر المصون.

قلت: قالوا: رجع بالتأنيث على السقاية، أو أنث الصواع؛ لأنه يذكر ويؤنث، ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبده صواعاً، فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية، وفيما يتصل بهم منه صواعاً، ﴿كَذَلِكَ كَذَبْنَا﴾: مثل ذلك الكيد العظيم كدنا، ﴿قَالَ يُوسُفُ﴾ يعني: علمناه إياه وأوحينا به إليه، ﴿مَا كَانَ لِأَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾: تفسير للكيد وبيان له؛ لأنه كان في دين ملك مصر، وما كان يحكم به في السارق أن يغرم مثلي ما أخذ، لا أن يلزم ويستعبد، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ / ١٧٣ ب أي: ما كان يأخذه إلا بمشيئة الله وإذنه فيه، ﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾: في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه، وقرئ: «يرفع»؛ بالياء، ودرجات بالتونين، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾: فوّه أرفع درجة منه في علمه، أو فوق العلماء كلهم عليهم هم دونه في العلم، وهو الله عز وعلّا.

فإن قلت: ما أذن الله فيه يجب أن يكون حسناً، فمن أي وجه حسن هذا الكيد؟ وما هو إلا بهتان، وتسريق لمن لم يسرق، وتكذيب لمن لم يكذب، وهو قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾، ﴿فَمَا جَزَاؤُهُمْ إِنْ كُنتُمْ كَاذِبِينَ﴾؟

قلت: هو في صورة البهتان، وليس ببهتان في الحقيقة؛ لأنّ قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾: تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف، وقيل: كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف، وقوله: (إن كنتم كاذبين)؛ فرض لانتفاء براءتهم، وفرض التكذيب لا يكون تكديماً، على أنه لو صرح لهم بالتكذيب، كما صرح لهم بالتسريق، لكان له وجه؛ لأنهم كانوا كاذبين في قولهم: ﴿وَرَكَّعْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتْنَعِمًا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾، هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها إلى مصالح ومنافع دينية؛ كقوله - تعالى - لأيوب - عليه السلام -: ﴿وَخُذْ بِرَبِّكَ زِينًا﴾ [ص: ٤٤]، ليتخلص من جلدها ولا يحنث، وكقول إبراهيم - عليه السلام -: هي أحتي؛ لتسلم من يد الكافر، وما الشرائع كلها إلا مصالح وضرق إلى التخلص من الوقوع في المفساد، وقد علم الله - تعالى - في هذه الحيلة التي لقيها يوسف مصالح عظيمة، فجعلها سلماً وذريعة إليها، فكانت حسنة جميلة، وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا.

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُمْ مِنْ قَبْلٍ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَّانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ (٧٧)

﴿أَخٌ لَّهُمْ﴾: أرادوا يوسف؛ روي أنهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين، نكس إخوته رؤوسهم حياء، وأقبلوا عليه وقالوا له: ما الذي صنعت؟ فضحتنا وسوّدت وجوهنا، يا بني راحيل، ما يزال لنا منكم بلاء، متى أخذت هذا الصاع؟ فقال: بنو راحيل الذين لا

يزال منكم عليهم البلاء، ذهبتم بأخي فأهلكتموه، ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم، واختلف فيما أضافوا إلى يوسف من السرقة، ف قيل: كان أخذ في صباه صنماً لجده أبي أمه، فكسره، وألقاه بين الجيف في الطريق، وقيل: دخل كنيسة فأخذ تمثالاً صغيراً من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه، وقيل: كانت في المنزل عناق أو دجاجة فأعطاهما السائل، وقيل: كانت لإبراهيم - عليه السلام - منطقة يتوارثها أكبر ولده، فورثها إسحاق ثم وقعت إلى ابنته وكانت أكبر أولاده، فحضنت يوسف - وهي عمته - بعد وفاة أمه، وكانت لا تصبر عنه، فلما شب، أراد يعقوب أن ينتزعه منها، فعمدت إلى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه، وقالت: فقدت منطقة إسحاق. فانظروا من أخذها، فوجدوها محزومة على يوسف، فقالت: إنه لي سلم أفعل به ما شئت، فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت، ﴿فَأَسْرَهَا﴾: إضمار على شريطة التفسير، تفسيره: ﴿أَنْتَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾؛ وإنما أنت لأن قوله: (أنتم شر مكاناً): جملة أو كلمة، على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة، كأنه قيل: فأسر الجملة أو الكلمة التي هي قوله: ﴿أَنْتَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾، والمعنى: قال في نفسه: أنتم شر مكاناً؛ لأن قوله: ﴿قَالَ أَنْتَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: بدل من أسرها، وفي قراءة ابن مسعود: «فأسرها»: على التذكير، يريد القول أو الكلام، ومعنى: (شر مكاناً): أنتم شر منزلة في السرقة؛ لأنكم سارقون بالصحة، لسرقتكم أخاكم من أبيكم، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾: يعلم أنه لم يصح لي ولا لأخي سرقة، وليس الأمر كما تصفون.

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنْ

### ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ (٧٨)

استعطفوه بإذكارهم إياه حق أبيهم يعقوب، وأنه شيخ كبير السن أو كبير القدر، وأن بنيامين أحب إليه منهم، وكانوا قد أخبروه بأن ولداً له قد هلك وهو عليه ثكلان<sup>(١)</sup>، وأنه مستأنس بأخيه، ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾: فخذ بدله على وجه الاسترهان أو الاستعباد، ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: إلينا فأتمم إحسانك، أو من عادتك الإحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَنَا بِهِ إِنَّا إِذَا ظَلَمْنَا لَنَا﴾ (٧٩)

﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾: هو كلام موجه، ظاهره: أنه وجب على قضية فتواكم أخذ من وجد

(١) قوله: «قد هلك وهو عليه ثكلان» أي حزين أسيف على فقد ولده (ع).

الصواع في رحله واستعباده، فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلماً في مذهبيكم، فلم تطلبون ما عرفتم أنه ظلم، وباطنه: إن الله أمرني وأوحى إليّ بأخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة أو لمصالح جمّة علمها في ذلك، فلو أخذت غير من أمرني بأخذه كنت ظالماً وعاملاً على خلاف الوحي، ومعنى: ﴿مَكَادُ اللَّهِ أَنْ تَأْخُذَ﴾: نعوذ بالله معاذاً من أن نأخذ، فأضيف المصدر إلى المفعول به وحذف من، و﴿إِذَا﴾: جواب لهم وجزاء؛<sup>(١)</sup> لأن المعنى: إن أخذنا بدله ظلمنا.

﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ آبَاءَكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوَثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾

﴿اسْتَيْسَسُوا﴾: يثسوا، وزيادة السين والثاء في المبالغة؛ نحو: ما مرّ في استعصم، و«النجي»: على معنيين: يكون بمعنى: المناجي، كالعشير والسمير بمعنى: المعاشر والمسامر؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبْتُهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]؛ وبمعنى المصدر الذي هو التناجي، كما قيل: النجوى، بمعناه، ومنه قيل: قوم نجى، كما قيل: ﴿وَأَذَاهُمْ تَجْوَى﴾ [الإسراء: ١٧]؛ تنزيلاً للمصدر منزلة الأوصاف، ويجوز أن يقال: هم نجى؛ كما قيل: هم صديق؛ لأنه بزنة المصادر وجمع أنجية؛ قال [من الرجز]:

إِنِّي إِذَا مَا الْقَوْمُ كَانُوا أَنْجِيَّةً<sup>(٢)</sup>

(١) قوله: «وإذا جواب لهم وجزاء، أي لقولهم ﴿فَتُخَذَ لَكُمْ مَكَانَهُ﴾ (ع).

(٢) إنسي إذا ما القوم كانوا أنجيه واضطرب القوم اضطراب الأرشية  
وشد فوق بعضهم بالأرويه هناك أوصيني ولا توصي بيه

من أبيات الحماسة. و«ما» زائدة. والأنجية. جمع نجى بمعنى المناجي، كالسمير والجلس والعشير، بمعنى المفاعل. أو النجي: مصدر كالدوي والأرز والنشج والنتيج والصهيل، كلها أنواع من الصوت، فيكون على حد «زيد عدل» ولو قلت: إنه جمع نجاه مصدر نجاه، كقتال مصدر قاتله لجاز، وكان كالأرشية جمع رشاء وهو جبل الاستقاء، والأرويه جمع رواء وهو جبل الارتواء والاستقاء أيضاً، أي: كانوا فرقةً متناجين ومتشاورين فيما نزل بهم واضطربوا قياماً وقعوداً وذهاباً وإياباً، كاضطراب الأرشية على الماء. ويروى: واضطربت أعناقهم كالأرشية. وشد: مبني للمجهول، أي: شد بعضهم بعضاً وشمره وحزمه بحبال الاستقاء، كناية عن استعدادهم للحرب. ويبعد كونه كناية عن الاستعداد للاستقاء في الزمن الجذب هناك، أي: في ذلك الزمان أو المكان. قيل: أو فيهما أكون شجاعاً صبوراً، فأوصيني بغيري ولا توصي بغيري بيه. وظاهر البيت جواز الإخبار عن اسم إن بجملة إنشائية وليس كذلك، بل هو على التأويل كما ترى. والخطاب لمؤنثة. ويجوز: أنه لمذكر. وثبت الياء في الفعلين للإشباع. والهاء في «بيه» للسكت. فهذا كناية عن =

ومعنى ﴿وَأَخْلَصُوا﴾: اعتزلوا وانفردوا عن الناس، خالصين لا يخالطهم سواهم، ﴿يَجِيئًا﴾: ذوي نجوى، أو فوجاً نجياً، أي: مناجياً لمناجاة بعضهم بعضاً، وأحسن منه أنهم تمحضوا تناجياً؛ لاستجماعهم لذلك، وإفاضتهم فيه بجدّ واهتمام، كأنهم في أنفسهم صورة التناجي وحقيقته، وكان تناجيهم في تدبير أمرهم، على أيّ صفة يذهبون؟ وماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيهم؟ كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب، فاحتاجوا إلى التشاور، ﴿كَبِيرُهُمْ﴾: في السنّ وهو روبيل، وقيل: رئيسهم وهو شمعون، وقيل: كبيرهم في العقل والرأي وهو يهوذا، ﴿مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾: فيه وجوه: أن تكون «ما»: صلة، / ١٧٤ أي: ومن قبل هذا قصرتم في شأن يوسف، ولم تحفظوا عهد أبيكم، وأن تكون مصدرية، على أن محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف، وهو (من قبل)، ومعناه: ووقع من قبل تفریطكم في يوسف، أو النصب عطفاً على مفعول: (ألم تعلموا)، وهو: (أن أباكم)؛ كأنه قيل: ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقاً وتفریطكم من قبل في يوسف<sup>(١)</sup>، وأن تكون موصولة بمعنى: ومن قبل هذا ما فرطتموه، أي: قدّمتموه في حق يوسف من الجنابة العظيمة، ومحلّه: الرفع أو النصب على الوجهين، ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾: فلن أفارق أرض مصر، ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِئَابِي﴾: في الانصراف إليه؛ ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾:

= شجاعته وتجلده. أو كناية عن كرمه على البعد.

البيت لسحيم بن وثيل اليربوعي. ينظر: اللسان والصحاح «نجا»، أساس البلاغة ٤٤٨، وجمهرة اللغة ص ٢٣٥، ٨٠٩، وخزانة الأدب ٢٤٧/١٠، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٦٥٦، وشرح شواهد المغني ٩١٤، المغني ٥٨٥/٢، وأمالى ابن الشجري ٢٥/٢، وروح المعاني ١٣/٣٥، ومعاني الزجاج ١٢٤/٣، والبحر المحيط ٣٣١/٥، والدر المصون ٢٠٥/٤.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «وهذا الذي ذهب إليه ليس بجيد، لأنّ فيه الفصل بالجار والمجرور بين حرف العطف الذي هو على حرف واحد، وبين المعطوف، فصار نظير «ضربت زيداً وبسيف عمراً وقد زعم أبو علي الفارسي: «أنه لا يجوز ذلك إلا في ضرورة شعر». قلت: أيضاً هذا الرد سبقه إليه أبو البقاء، ولم يرتضه، فقال: وقيل هو ضعيف، لأنّ فيه الفصل بين حرف العطف والمعطوف، وقد بينا في سورة النساء أن هذا ليس بشيء. قلت: يعني أن منع الفصل بين حرف العطف والمعطوف ليس بشيء. وقد تقدم إيضاح ذلك وتقريره في سورة النساء كما أشار إليه أبو البقاء.

ثم قال الشيخ: وأما تقدير الزمخشري: «وتفریطكم من قبل في يوسف، فلا يجوز، لأنّ فيه تقديم معمول المصدر المنحل بحرف مصدرى والفعل عليه، وهو لا يجوز». قلت: ليس في تقدير الزمخشري شيء من ذلك لأنه لما صرح بالمقدر آخر الجارين والمجرورين عن لفظ المصدر المقدر، كما ترى، وكذا هو في سائر النسخ، وكذا ما نقله الشيخ عنه بخطه، فأين تقديم معمول على المصدر؟ ولو رد عليه وعلى ابن عطية بأنه يلزم من ذلك تقديم معمول الصلة على الموصول لكان رداً واضحاً، فإنّ «من قبل» متعلق بـ«فرطتم» وقد تقدم على «ما» المصدرية، وفيه خلاف مشهور. انتهى. الدر المصون.

بالخروج منها، أو بالانتصاف ممن أخذ أخي، أو بخلاصه من يده بسبب من الأسباب، ﴿يَهُوَ خَيْرٌ الْحَاكِمِينَ﴾؛ لأنه لا يحكم أبدأ إلا بالعدل والحق.

﴿أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيُّكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّكَ أَبْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ (٨١)

وقرى: (سُرِقَ) أي: نسب إلى السرقة، ﴿وَمَا شَهِدْنَا﴾: عليه بالسرقة، ﴿إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾: من سرقة<sup>(١)</sup> وتيقناه؛ لأنّ الصواع استخرج من وعائه ولا شيء أبين من هذا، ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾: وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق<sup>(٢)</sup>، أو ما علمنا أنك تصاب به كما أصبت بيوسف ومن قرأ: (سُرِقَ)، فمعناه: وما شهدنا إلا بقدر ما علمنا من التسريق، وما كنا للغيب: للأمر الخفي حافظين، أسرق بالصحة أم دس الصاع في رحله ولم يشعر.

﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٨٢) قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٨٣)

﴿الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾: هي مصر، أي: أرسل إلى أهلها فسلهم عن كنه القصة، ﴿وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾: وأصحاب العير، وكانوا قوماً من كنعان من جيران يعقوب، وقيل: من أهل صنعاء، معناه: فرجعوا إلى أبيهم، فقالوا له ما قال لهم أخوهم: ف ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ

(١) قال محمود: «معناه وما شهدنا عليه بالسرقة إلا بما علمناه من سرقة... إلخ» قال أحمد: إما أن يكون مقتضى شرعهم حينئذ أن مجرد وجود الشيء بيد المدعى عليه بعد إنكاره يوجب له أحكام السارق فيكون العلم على ظاهره إذاً. وإما أن لا يكون كذلك، فهذا القدر من مجرد وجوده في رحله لا يوجب علم كونه سارقاً. وغايته أن يفيد ظناً بيناً، فيكون المراد بالعلم ههنا الظن. وقد ورد مثله، ويكون قولهم ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ تنبيهاً على أن مستندهم فيما قالوه ظن بمقتضى ظاهر الحال. وأما كشف باطن الأمر الموجب للعمل فليسوا يدعونه عليه.

(٢) عاد كلامه. قال: «وقولهم ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ معناه: وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق... إلخ» قال أحمد: وإنما تلتزم القراءتان على التأويل الذي ذكرته، وهو أنهم إنما أضافوا إليه السرقة ظناً بمقتضى ظاهر الحال، واحترزوا أن يعتقد أنهم علموا ذلك حقيقة فقالوا: وما كنا للغيب حافظين فالقراءتان على التأويل المذكور يقتضيان تبرئتهم من دعوى العلم الجازم عليه. وأما على غيره من التأويلات المذكورة فلا تتنظم القراءتان لأن مقتضى الأولى الجزم عليه بالسرقة علماً. ومقتضى الثانية التبري من الجزم، والله أعلم.

لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً<sup>(١)</sup>، وإلا فما أدرى ذلك الرجل أن السارق يؤخذ بسرقة لولا فتواكم وتعليمكم، ﴿يَهْتُمْ جَمِيعاً﴾: بيوسف وأخيه وروبيل أو غيره، ﴿إِنَّهُمْ هُوَ الْعَلِيمُ﴾: بحالي في الحزن والأسف، ﴿الْحَكِيمُ﴾: الذي لم يبتلني بذلك إلا لحكمة ومصلحة.

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤)

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾: وأعرض عنهم؛ كراهة لما جاؤوا به، ﴿يا أسفَى﴾: أضاف الأسف وهو أشد الحزن والحسرة إلى نفسه، والألف بدل من ياء الإضافة، والتجانس بين لفظتي الأسف ويوسف مما يقع مطبوعاً غير متعمل فيملح ويبدع، ونحوه: ﴿أَنَا قَلْتُ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيئُهُ﴾ [التوبة: ٣٨]، ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ﴾ [النمل: ٢٢]، ﴿يَحْسِرُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِرُونَ﴾ [النمل: ٢٢]، ﴿من سبأ نبياً﴾<sup>(٢)</sup> [النمل: ٢٢] وعن النبي ﷺ: «لَمْ تُغَطِّ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ - إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ - عِنْدَ الْمُصِيبَةِ إِلَّا أُمَّةٌ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (٧٩١)، ألا ترى إلى

٧٩١ - أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٢٧/٢)، والطبري في تفسيره (٢٧٥/٧) رقم (١٩٦٦٤)، =

- (١) قال محمود: «إن هذا شيء أردتموه... إلخ» قال أحمد: وهذا من الزمخشري إسلاف جواب عن سؤال، كأن قائل يقول: هم في الواقعة الأولى سولت لهم أنفسهم أمراً بلا مراء، وأما في هذه الواقعة الثانية فلم يتعمدوا في حق بنيامين سوءاً، ولا أخبروا أباهم إلا بالواقع على جليته وما تركوه بمصر إلا مغلوبين عن استصحابه، فما وجه قوله ثانياً ﴿بَل سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ كما قال لهم أولاً، وإذا ورد السؤال على هذا التقرير فلا بد من زيد بسط في الجواب فنقول: كانوا عند يعقوب عليه السلام حيثئذ متهمين، وهم قمن باتهامه لما أسلفوه في حق يوسف عليه السلام وقامت عنده قرينة تؤكد التهمة وتقويها، وهي أخذ الملك له في السرقة، ولم يكن ذلك إلا من دين يعقوب وحده لا من دين غيره من الناس ولا من عاداتهم، وإلى ذلك وقعت الإشارة بقوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِإِبْنِ أَخَاهُ فِي دِينِكَ﴾ تنبيهاً من الله تعالى على وجه اتهام يعقوب لهم، فعلم أن الملك إنما فعل ذلك بفتواهم له به، وظن أنهم أفتوه بذلك بعد ظهور السرقة تعمداً ليتخلف أخوهم، وكان الواقع أنهم استفتوا من قبل أن يدعى عليهم السرقة، فذكروا ما عندهم، ولم يشعروا أن المقصود إلزامهم بما قالوا واتهام من هو بحيث تنطرق التهمة إليه لا حرج فيه، وخصوصاً فيما يرجع إلى الوالد من الولد. ويحتمل - والله أعلم - أن يكون الوجه الذي سوغ له هذا القول في حقه أنهم جعلوا مجرد وجود الصواع في رحل من يوجد في رحله سرقة، من غير أن يحيلوا الحكم على ثبوت كونه سارقاً بوجه معلوم، وهذا في شرعنا لا يثبت السرقة على من ادعى عليه، فإن كان شرعهم مثل شرعنا في ذلك ففتواهم إذاً غير محررة، وهو إشعار بأنهم كانوا حراساً على ثبوت السرقة عليه، ويؤكد ذلك قولهم ﴿إِنْ بَسْرِي فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لِي مِنْ بَنِي﴾ يؤكدون بذلك ثبوت السرقة عليه، والله أعلم. وقوله لهم (بل سولت لكم أنفسكم أمراً) واقع بمكانه من حالهم، وإن كان شرعهم يقتضي ذلك مخالفاً لشرعنا، فالعمدة على الجواب الأول، والله المستعان.
- (٢) قال السمين الحلبي: قلت: ويسمى هذا النوع «تجنيس التصريف»، وهو أن تشترك الكلمتان في =

يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع؛ وإنما قال يا أسفي».

فإن قلت: كيف تأسف على يوسف دون أخيه ودون الثالث، والرزة الأحداث أشد على النفس وأظهر أثرًا؟

قلت: هو دليل على تمادي أسفه على يوسف، وأنه لم يقع فائت عنده موقعه، وأن الرزة فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا [من الطويل]:

فلم تنسني أوفى المصيبات بعده ..... (١)

ولأن الرزة في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده، فكان الأسف عليه أسفًا على من لحق به، ﴿وَأَيَّضَتْ عَيْنَاهُ﴾: إذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبتة إلى بياض كدر، قيل: قد عمي بصره، وقيل: كان يدرك إدراكاً ضعيفاً، قرئ: «من الحزن»، «ومن الحزن»، الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض،

= والبيهقي في شعب الإيمان (١١٧/٧) رقم (٩٦٩١)، والطبراني في المعجم الكبير (٤٠/١٢) حديث رقم (١٢٤١١).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه الثعلبي من حديث محمد بن سعيد الهادي عن إسحاق بن الربيع بن سفيان بن زياد المعصفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بهذا مرفوعاً، وأخرجه الطبراني في الدعاء من وجه آخر عن سفيان بن زياد. ورواه: عبد الرزاق من طريق الطبري عن الثوري عن سفيان عن زياد المعصفر عن سعيد بن جبير، أقول: وكذا رواه البيهقي في الشعب من رواية أبي عامر عن الثوري قال: ورفع بعض الضعفاء وليس بشيء. انتهى.

= لفظ ويفرق بينهما بحرف ليس في الأخرى. انتهى الدر المصون.

(١) تعزيت عن أوفى بغيلان بعده عزاء وجفن العين ملآن مترع فلم تنسني أوفى المصيبات بعده ولكن نكاه القرع بالقرح أوجع

لهشام بن عقبة العذري، يرثي أخاه ذي الرمة، واسمه غيلان بن عقبة. ويرثي أوفى بن دهم. وقيل: يرثي أخويه. يقول: تعزيت أي تسليت عن أوفى بموت غيلان بعده، أي نابني ما يوجب النسيان الأول ولم أنسه، والحال أن جفن عيني ممتلئ بالدموع. أو المعنى: تكلفت التسلي فلم أقدر. ويقال: أتزع الحوض إذا ملاه بالماء في المترع توكيد. ويجوز تشبيه الجفن بالحوض على طريق المكنية والإترع تخييل، فلم تنسني أوفى المصيبات التي أصابني بعده موت أخي غيلان، ولكن زادني حزناً على حزني. والقرح: الجرح إذا اندمل وبيست جلبته. والنكاه: كشط تلك الجلية. ويروي: ولكن نكأ بتشديد النون. والنكأ: التي منها وزن الضرب، فشه حال مصيبته الأولى التي طرأ عليها غيرها فزادها بحال ذلك الجرح على سبيل التمثيلية، أي: ولكن نكأ القرع أوجع به من الحالة الأولى. وأظهر محل المضمحل لإظهار التوجع والتفجع. أو المعنى: ولكن نكأ القرع الأول بقرح غيره أوجع بالإنسان مما كان، فبالقرح متغلق بأوجع، أو بنكاه. ينظر: أساس البلاغة (نكأ)، وبلا نسبة في جمهرة اللغة (ص ١١٠٥).

فكانه حدث من الحزن، قيل: ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاماً، وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب، وعن رسول الله ﷺ أنه سأل جبريل - عليه السلام -: «مَا بَلَغَ مِنْ وَجْدِ يَعْقُوبَ عَلَى يُوسُفَ؟ قَالَ: وَجَدَ سَبْعِينَ تُكَلِّمِي، قَالَ: فَمَا كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ؟ قَالَ: أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ، وَمَا سَاءَ ظَنُّهُ بِاللَّهِ سَاعَةً قَطُّ» (٧٩٢).

فإن قلت: كيف جاز لنبى الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ؟

قلت: الإنسان مجبول على ألا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن؛ ولذلك حمد صبره وأن يضبط نفسه حتى لا يخرج إلى ما لا يحسن، ولقد بكى رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم، وقال: «الْقَلْبُ يَجْزَعُ، وَالْعَيْنُ تَذْمَعُ، وَلَا تَقُولُ مَا يُسْحِطُ الرَّبَّ، وَإِنَّا عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ» (٧٩٣)؛ وإنما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصباح والنياحة، ولطم الصدور والوجوه، وتمزيق الثياب، وعن النبى ﷺ أنه بكى على ولد بعض بناته، وهو وجود بنفسه، فقيل: يا رسول الله، تبكي وقد نهيتنا عن البكاء؟ فقال: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنِ الْبُكَاءِ؛ وَإِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ: صَوْتٌ عِنْدَ الْفَرَحِ، وَصَوْتٌ عِنْدَ التُّرْحِ» (٧٩٤)؛ وعن الحسن أنه بكى على ولد أو غيره، فقيل له في ذلك، فقال: ما

٧٩٢ - أخرجه الطبري في تفسيره (٢٨١/٧) رقم (١٩٧٢٤).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف: لم أجده مرفوعاً. وأخرجه الطبري من رواية عيسى بن يزيد عن الحسن البصري أنه قيل له: ما بلغ.. فذكره.

٧٩٣ - أخرجه البخاري (٢٠٦/٣) «كتاب الجنائز» «باب قول النبى ﷺ: «إنا بك لمحزونون» حديث رقم (١٣٠٣)، ومسلم (٨٢/٨) نوي «كتاب الفضائل»، «باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال، وتواضعه حديث رقم (٢٣١٥).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

متفق عليه من حديث أنس.

٧٩٤ - أخرجه الترمذي (٣١٨/٣) «كتاب الجنائز»، «باب ما جاء في الرخصة في البكاء على الميت»، والبيهقي في شعب الإيمان (١٢٩/٧) حديث رقم (٩٧٣٧).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

قال المخرج عزاه الطبري إلى الصحيحين فلم يصب. ولم يرد هذا في ولد بعض بناته، وإنما ورد في ولده إبراهيم؛ كما أخرجه الترمذي وابن أبي شيبة وإسحاق وعبد بن حميد وغيرهما من حديث جابر. وأخرجه الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف نحوه. والذي ورد في بعض بناته متفق عليه من حديث أسامة، وفيه: «ففاضت عيناه فقال له سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده»، قلت: والأول إنما هو بلفظ: «قال عبد الرحمن بن عوف: أتبكي، أو لم تكن نهيت عن البكاء؟ قال: لا، ولكن نهيت عن صوتين أحمقين: صوت عند مصيبة، وخمس وجوه، ورتة شيطان، وشق جيوب. وصوت نعمة لعب ولهو ومزامير شيطان». انتهى.

رأيت الله جعل الحزن عاراً على يعقوب، ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: فهو مملوء من الغيظ<sup>(١)</sup> على أولاده ولا يظهر ما يسوؤهم، فعيل بمعنى: مفعول؛ بدليل قوله: (وهو مكظوم): من كظم السقاء إذا شدّه على ملته، والكظم بفتح الظاء: مخرج النفس، يقال: أخذ بأكظامه.

﴿قَالُوا تَأَلَّه تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَصًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾

﴿تَفْتَوُا﴾ أراد: لا تفتؤ، فحذف حرف النفي؛ لأنه لا يلتبس بالإثبات؛ لأنه لو كان إثباتاً لم يكن بدّ من اللام والنون؛ ونحوه [من الطويل]:

فَقُلْتُ: يَمِينَ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا ..... (٢)

ومعنى (لا تفتؤ): لا تزال، وعن مجاهد: لا تفتّر من حبه، كأنه جعل الفتوء والفتور أخوين؛ يقال: ما فتئ يفعل؛ قال أوس [من الطويل]:

فَمَا فَيَّتَتْ حَيْلٌ تُثُوبٌ وَتَدْعِي وَوَلَحِقَتْ مِنْهَا لِأَجْحُ وَتَقَطَّعُ<sup>(٣)</sup>

(١) قوله: «فهو مملوء من الغيظ» أي الغضب الكامن. أفاده الصحاح. قوله: «ولا يظهر ما يسوؤهم» أي لما صنعوا بيوسف وأخيه (ع).

(٢) سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حجاب الماء حالاً على حال  
فقلت: يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

لامرئ القيس. يقول: سموت إلى محبوبتي سلمى بعد نوم أهلها، ولم يسمع لي أحد صوتاً، ولم تشعر بي هي إلا وأنا عندها، كسمو حجاب الماء فوقه بسهولة. وحجاب الماء - بالضم: اسم لثعبان الماء. وحجاب الماء - بالفتح -: فقاغعه التي تعلقه. وقوله: «حالاً على حال» واقع موقع الحال المؤكدة للتشبيه، أي: حالاً منطبقاً على حال ومساوياً له، كقولك «سواء بسواء» وههنا حذف، أي: فخوفتني بالقوم، فقلت: يمين الله أبرح، أي: لا أبرح قاعداً. وحذف «لا» النافية للمضارع بعد القسم كثير لأمن اللبس، ولأنه لولا تقديرها لوجب اقتران الفعل بلام جواب القسم أو بنون التوكيد أو بهما. ويمين: نصب بمحذوف، أي أحلف بيمين الله، فهو كالمصدر النائب عن فعله. وبقيّة القصة تقدمت.

ينظر: ديوانه (١٢٥)، شواهد الكتاب ٣/٥٠٤، وأوضح المسالك ١/١٦٣، والخصائص ٢/٢٨٤، والدرر ٢/٤٢، والدر المصون ١/٤٦٢، فتح القدير ٣/٥٠.

(٣) لأوس بن حجر، وكنى بالخيل عن أصحابها. ويقال: ثاب وثوب، إذا لوح بطرف ثوبه عند النداء من بعيد. وتدعي: تفتعل من الدعاء أي يدعو بعضهم بعضاً. ويحتمل أن ثوب ثوب بمعنى ترجع، أي تذهب وترجع. ومعنى «تدعي» تلاحق وينتسب بعضها إلى بعض مجازاً، فيجوز أن الخيل حقيقة. أو شبه الخيل بالناس على طريق المكنية، والادعاء بمعنى التنادي تخييل، وهذان الوجهان أنسب بقوله: «ويلحق» أي يسبق منها سابق. وتقطع: أي تنقطع وينقطع بعضها عن بعض قطعاً قطعاً، فهي تجتمع وتفترق: صور الحرب من أولها إلى آخرها في هذا البيت، أي: فما زالت الخيل تفعل كذلك حتى انتهت الحرب.

ينظر: ديوانه (٥٨)، مجاز القرآن ١/٣١٦، والجمهرة ٣/٢٨٧، تفسير غريب القرآن ٢٢١، البحر ٥/٣٢٤، الطبري ١٣/٢٨، الدر المصون ٤/٢٠٩.

﴿حَرَضًا﴾: مشفياً على الهلاك مرضاً، وأحرضه المرض، ويستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث؛ لأنه مصدر، والصفة: حَرَضٌ: بكسر الراء، ونحوهما: دنف ودفن، وجاءت القراءة بهما جميعاً، وقرأ الحسن: «حرضاً»: بضمين؛ ونحوه في الصفات: رجل جنب وغرب.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾

البث: أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه، فيثب إلى الناس، أي: ينشره، ومنه: بائه أمره، وأبته/ ١٧٤ب إياه، ومعنى ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا﴾: إني لا أشكو إلى أحد منكم ومن غيركم؛ إنما أشكو إلى ربي داعياً له وملتجئاً إليه، فخلوني وشكايتي، وهذا معنى توليه عنهم، أي: فتولى عنهم إلى الله والشكاية إليه، وقيل: دخل على يعقوب جازٍ له فقال: يا يعقوب، قد تهشمت، وفنيت، وبلغت من السن ما بلغ أبوك! فقال: هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف، فأوحى الله إليه: يا يعقوب، أتشكوني إلى خلقي؟ قال: يا رب، خطيئة أخطأتها فاغفر لي، فغفر له، فكان بعد ذلك إذا سئل قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾. وروي أنه أوحى إلى يعقوب: إنما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة، فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه، وإن أحب خلقي إلي الأنبياء، ثم المساكين، فاصنع طعاماً وادع عليه المساكين، وقيل: اشترى جارية مع ولدها، فباع ولدها فبكت حتى عميت، ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: أعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به أنه يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب، وروي أنه رأى ملك الموت في منامه فسأله: هل قبضت روح يوسف؟ فقال: لا والله هو حي فاطلبه، وقرأ الحسن: «وحزني»: بفتحين، «وحزني»: بضمين: قتادة.

﴿يَبِيئُ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: فتعرَّفوا منهما وتطلبوا خبرهما، وقرئ: بالجيم، كما قرئ بهما في الحجرات، وهما تفعل من الإحساس وهو المعرفة، ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ [آل عمران: ٥٢] ومن الجس، وهو: الطلب، ومنه قالوا لمشاعر الإنسان: الحواس، والحواس، ﴿مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾: من فرجه وتنفيسه، وقرأ الحسن وقاتدة: «من روح الله»: بالضم، أي: من رحمته التي يحيا بها العباد.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الْفُرُجَ وَحَشْنَا بِيضَعَةَ مَرْجَلِهِ فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلُ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿الضَّرُّ﴾: الهزال من الشدة والجوع، ﴿مُرْجَلَةٌ﴾: مدفوعة يدفعها كل تاجر؛ رغبة عنها واحتقاراً لها، من أزجيته إذا دفعته وطردته، والريح تزجي السحاب، قيل: كانت من متاع الأعراب صوفاً وسمناً، وقيل: الصنوبر وحبه الخضراء، وقيل: سوق المقل والأقط، وقيل: دراهم زيوفاً لا تؤخذ إلا بوضيعة، ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾: الذي هو حقنا، ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾: وتفضل علينا بالمسامحة والإغماض عن رداءة البضاعة، أو زدنا على حقنا، فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة؛ لأن الصدقات محظورة على الأنبياء، وقيل: كانت تحل لغير نبينا، وسئل ابن عيينة عن ذلك؟ فقال: ألم تسمع: (وتصدق علينا) أراد: أنها كانت حلالاً لهم، والظاهر أنهم تمسكوا له، وطلبوا إليه أن يتصدق عليهم، ومن ثم رفق لهم وملكته الرحمة عليهم، فلم يتمالك أن عرفهم نفسه، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾: شاهد لذلك لذكر الله وجزائه، والصدقة: العطية التي تبتغى بها المثوبة من الله، ومنه قول الحسن - لمن سمعه يقول: اللهم تصدق عليّ: - إن الله تعالى لا يتصدق؛ إنما يتصدق الذي يتبغى الثواب، قل: اللهم، أعطني، أو تفضل عليّ، أو ارحمني.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ﴾: أتاهم من جهة الدين وكان حليماً موفقاً<sup>(١)</sup>، فكلمهم مستفهماً عن وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب، فقال: هل علمتم قبح: ﴿مَا فَعَلْتُمْ يُّوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾: لا تعلمون قبحه؛ فلذلك أقدمتم عليه، يعني: هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه، لأن علم القبح يدعو إلى الاستقباح، والاستقباح يجزى إلى التوبة، فكان كلامه شفقة عليهم، وتنصيحاً لهم في الدين، لا معاتبة وثريراً؛ إيثاراً لحق الله على حق نفسه، في ذلك المقام الذي ينتفس فيه المكروب، وينفث المصدور<sup>(٢)</sup>، ويتشفى المغيظ المحنق، ويدرك ثاره الموتور، فله أخلاق الأنبياء ما أوطأها وأسجحها<sup>(٣)</sup>، والله حصا عقولهم ما أرزنها وأرجحها، وقيل: لم يرد نفي العلم عنهم؛ لأنهم كانوا علماء، ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه إلا جاهل<sup>(٤)</sup>، سماهم جاهلين، وقيل: معناه: إذ

- (١) قال محمود: «أتاهم من جهة الدين وكان حليماً موفقاً، فكلمهم مستفهماً عن معرفة وجه القبح... إلخ» قال أحمد: ومن تلفظه بهم قوله ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ كالاعتذار عنهم، لأن فعل القبيح على جهل بمقدار قبحه أسهل من فعله على علم، وهم لو ضربوا في طرق الاعتذار لم يلفوا عذراً كهذا، ألا ترى أن موسى عليه السلام لما اعتذر عن نفسه لم يزد على أن قال: فعلتها إذا وأنا من الضالين.
- (٢) قوله: «وينفث المصدور... إلخ» المصدور: الذي يشتكي صدره. والمحنق: المغيظ. والموتور: الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه، كذا في الصحاح (ع).
- (٣) قوله: «ما أوطأها وأسجحها» أي ما أسهلها وما أرفقها، أفاده الصحاح. وفيه: فلان ذو حصاة، أي ذو عقل ولب، فحصى عقولهم: إضافة بيانية (ع).
- (٤) قوله: «ولا يقدم عليه إلا جاهل» لعله عطف على المعنى لأن قوله: «لم يفعلوا... إلخ» بمعنى =

أنتم صبيان في حد السفه والطيش قبل أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة، روي أنهم لما قالوا: مسنا وأهلنا الضر، وتضرعوا إليه: ارفضت عيناه، ثم قال هذا القول، وقيل: أدوا إليه كتاب يعقوب: من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله، إلى عزيز مصر، أما بعد: فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء، أما جدّي فشدت يدها ورجلاه، ورمي به في النار ليحرق، فنجاه الله وجعلت النار عليه برداً وسلاماً، وأما أبي: فوضع السكين على قفاه ليقتل، ففداه الله، وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إليّ، فذهب به إخوته إلى البرية، ثم أتوني بقميصه ملطخاً بالدم، وقالوا: قد أكله الذئب، فذهبت عيناى من بكائي عليه، ثم كان لي ابن وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به، فذهبوا به ثم رجعوا، وقالوا: إنه سرق، وأنت حبسته لذلك، وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً، فإن رددته عليّ وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك، والسلام»، فلما قرأ يوسف الكتاب، لم يتمالك وعيل صبره، فقال لهم ذلك، وروي أنه لما قرأ الكتاب، بكى وكتب الجواب: اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا.

فإن قلت: ما فعلهم بأخيه؟

قلت: تعريضهم إياه للغم والشكل<sup>(١)</sup> بإفراذه عن أخيه لأبيه وأمه، وجفاؤهم به، حتى كان لا يستطيع أن يكلم أحداً منهم إلا كلام الدليل للعزيز، وإيذاؤهم له بأنواع الأذى.

﴿قَالُوا أَوَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَبَصِيرٍ فَإِنَّكَ اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا تَأَلَّوْا لِلَّهِ لَقَدْ أَتَرَكْنَا اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ ﴿٩٦﴾ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٧﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْفُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَقْلَابِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٨﴾﴾

قري: (أنتك): على الاستفهام، «وأنتك»: على الإيجاب، وفي قراءة أبي: «أنتك أو أنت يوسف»: على معنى: أنتك يوسف أو أنت يوسف، فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، وهذا كلام متعجب/ ١١٧٥ مستغرب لما يسمع، فهو يكرر الاستنابات.

فإن قلت: كيف عرفوه؟

قلت: رأوا في رواه<sup>(٢)</sup> وشماله حين كلمهم بذلك ما شعروا به أنه هو، مع علمهم

= فعلوا ما لا يقتضيه العلم (ع).

والثكل: فقدان المرأة ولدها، كما في الصحاح. والمراد هنا الحزن (ع).

قوله: «قلت رأوا في رواه» بالضم، أي منظره. أفاده الصحاح (ع).

بأن ما خاطبهم به لا يصدر مثله إلا عن حنيف مسلم من سنخ إبراهيم، لا عن بعض أجراء مصر، وقيل: تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم، وقيل: ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه فنظروا إلى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها، تشبه الشامة البيضاء.

فإن قلت: قد سأله عن نفسه فلم أجابهم عنها وعن أخيه؟ على أن أخاه كان معلوماً لهم.

قلت: لأنه كان في ذكر أخيه بيان لما سأله عنه، ﴿مَنْ يَتَّقِ﴾: من يخف الله وعقابه، ﴿وَيَصْبِرِ﴾: عن المعاصي وعلى الطاعات، ﴿فَأَنَّ اللَّهَ لَا يَضيعُ﴾: أجرهم، فوضع المحسنين موضع الضمير؛ لاشتماله على المتقين والصابرين، ﴿لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين، وإن شأننا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للإثم، لم نتق ولم نصبر، لا جرم أن الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمكن بين يديك، ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ﴾: لا تأنيب عليكم ولا عتب، وأصل التريب: من الثرب، وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش، ومعناه: إزالة الثرب، كما أن التجليد والتقرير إزالة الجلد والقرع<sup>(١)</sup>؛ لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده، فضرب مثلاً للتقرير الذي يمزق الأعراض ويذهب بماء الوجوه.

فإن قلت: بم تعلق اليوم؟<sup>(٢)</sup>.

قلت: بالثريب، أو بالمقدر في: (عليكم)، من معنى الاستقرار، أو ببغفر، والمعنى: لا أثربكم اليوم، وهو اليوم الذي هو مظنة الثريب، فما ظنكم بغيره من الأيام، ثم ابتدأ فقال: ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾: فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم، يقال: غفر الله لك، ويغفر الله لك: على لفظ الماضي والمضارع جميعاً، ومنه قول المشمت: «يهديكم الله ويصلح بالكم»، و(اليوم يغفر الله لكم): بشارة بعاجل غفران الله، لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم، وروي أن رسول الله ﷺ أخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح، فقال لقريش: «مَا تَرُونِي فَاعِلًا بِكُمْ؟» قَالُوا: نَظُنُّ خَيْرًا، أَخُ كَرِيمٌ وَأَبْنُ أَخِ كَرِيمٍ، وَقَدْ

(١) قوله: «والقرع» في الصحاح «القرع» بالتحريك: بثر أبيض، يخرج بالنصال. والتقرير: معالجة الفصيل من القرع، ينزع ذلك منه (ع).

(٢) قال: «فإن قلت بم تعلق اليوم في قوله ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾... الخ؟ قال أحمد: وهذا المعنى إنما يتوجه على الإعراب الأول وهو الأوجه. ألا ترى إلى قولهم بعد ذلك ﴿يَتَابَأْنَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ وقوله (سوف أستغفر لكم ربي) دل على أنهم كانوا بعد في عهدة الذنب، ولو كان متعلقاً ببغفر للزم أن يقطعوا بغفران ذنبهم حينئذ بأخبار النبي الصديق. ويحتمل أن يقال: إنما أراد مغفرة ما يرجع إلى حقه دون حق أبيه، إذ الإثم كان مشتركاً بينهما، والله أعلم.

قدرت، فقال: «أَقُولُ مَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ: لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ» (٧٩٥)، وروي أن أبا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس: إذا أتيت الرسول فأتل عليه: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ﴾، ففعل، فقال رسول الله ﷺ «عَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَلِمَنْ عَلَّمَكَ» (٧٩٦). ويروي أن إخوته لما عرفوه وأرسلوا إليه: إنك تدعونا إلى طعامك بكرة وعشبة، ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك، فقال يوسف: إن أهل مصر وإن ملكت فيهم، فإنهم ينظرون إليّ بالعين الأولى، ويقولون: سبحان من بلغ عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ، ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون؛ حيث علم الناس أنكم إختوتي، وأني من حفدة إبراهيم، ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ قيل: هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة، أمره جبريل - عليه السلام - أن يرسله إليه؛ فإن فيه ريح الجنة، لا يقع على مبتلي ولا سقيم إلا عوفي، ﴿يَأْتِ بِصِيرًا﴾: يصير بصيراً؛ كقولك: جاء البناء محكماً، بمعنى: صار، ويشهد له: (فارتد بصيراً)، أو: يأت إلي وهو بصير؛ وينصره قوله: ﴿وَأَتُورَفُ بِأَقْلِبِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: يأتني أبي، ويأتني آله جميعاً، وقيل: يهوذا هو الحامل، قال: أنا أحزنته بحمل القميص ملطوحاً بالدم إليه، فأفرحه كما أحزنته، وقيل: حمله وهو حاف حاسر<sup>(١)</sup> من مصر إلى كنعان، وبينهما مسيرة ثمانين فرسخاً.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾ قَالُوا تَأَلَّيْهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَنَّهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَأَزْتَدَّ بِصِيرًا قَالِ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿فَصَلَّتِ الْعِيرُ﴾: خرجت من عريش مصر، يقال: فصل من البلد فصلاً: إذا انفصل

٧٩٥ - أخرجه النسائي (٣٨٢/٦) رقم (١١٢٩٨)، وذكره البيهقي في دلائل النبوة (٥٨/٥)، وأخرجه ابن هشام في السيرة (٣٤/٤) رقم (١٦٨١).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه النسائي والبيهقي من رواية ثابت عن عبد الرحمن بن رباح عن أبي هريرة وأتم منه، وأخرجه الثعلبي من رواية سمعان عن عطاء عن ابن عباس بهذا اللفظ وأتم منه، وكذا ذكره ابن إسحاق عن بعض أهل العلم، وقال فيه: «قدرت فاسمح»، وكذا أخرجه الواقدي في المغازي من حديث برة بنت تجرة، ورواه أبو عبيد في الأموال عن إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين. انتهى.

٧٩٦ - أخرجه ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار وقال: غريب جدا. وقال الحافظ في تخريج الكشاف: لم أجده.

(١) قوله: «وهو حاف حاسر» أي لا مغفر له ولا درع، أفاده الصحاح (ع).

منه وجاوز حيطانه، وقرأ ابن عباس: فلما انفصل العير، ﴿قَالَ﴾: لولد ولده ومن حوله من قومه: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾: أوجده الله ريح القميص؛ حين أقبل من مسيرة ثمان، والتفنيذ: النسبة إلى الفند، وهو الخرف وإنكار العقل من هرم، يقال: شيخ مفند، ولا يقال عجوز مفندة؛ لأنها لم تكن في شببتها ذات رأي فتفند في كبرها، والمعنى: لولا تفنيذكم إياي لصدقتموني، ﴿لَيْفِي صَنَّكَ الْكَبِيرِ﴾: لفي ذهابك عن الصواب قدماً في إنراط محبتك ليوسف، ولهجك بذكرك، ورجائك للقاءه، وكان عندهم أنه قد مات، ﴿أَلْقَنَهُ﴾: طرح البشير القميص على وجه يعقوب، أو ألقاه يعقوب، ﴿فَأَزْتَدَّ بَصِيرًا﴾: فرجع بصيراً، يقال: رده فارتد، وارتده إذا ارتجعه، ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ يعني: قوله: (إني لأجد ريح يوسف)، أو قوله: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾، وقوله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾: كلام مبتدأ لم يقع عليه القول، ولك أن توقعه عليه وتريد قوله: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرْقٍ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، روي: أنه سأل البشير كيف يوسف؟ فقال: هو ملك مصر، فقال: ما أصنع بالملك؟ على أي دين تركته؟ قال: على دين الإسلام، قال: الآن تمت النعمة.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾

﴿سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ﴾ قيل: أخرج الاستغفار إلى وقت السحر، وقيل: إلى ليلة الجمعة؛ ليتعمد به وقت الإجابة، وقيل: ليتعرف حالهم في صدق التوبة وإخلاصها، وقيل: أراد الدوام على الاستغفار لهم، فقد روي أنه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة، وقيل: قام إلى الصلاة في وقت السحر، فلما فرغ رفع يديه وقال: اللهم، اغفر لي جزعي على يوسف، وقلة صبري عنه، واغفر لولدي ما أتوا إلى أخيهم، فأوحى إليه: إن الله قد غفر لك ولهم أجمعين، وروي أنهم قالوا له وقد علتهم الكآبة: ما يغني عنا عفوكم إن لم يعف عنا ربنا، فإن لم يوح إليك بالعفو، فلا قرت لنا عين أبداً، / ١٧٥ ب فاستقبل الشيخ القبلة قائماً يدعو، وقام يوسف خلفه يؤمن، وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين سنة، حتى بلغ جهدهم وظنوا أنها الهلكة نزل جبريل - عليه السلام - فقال: «إن الله قد أجاب دعوتك في ولدك، وعقد موثيقهم بعدك على النبوة، وقد اختلف في استنبائهم.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ أَبِيهِ وَقَالَ أَدْخُلُوا مَعِيَ مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ وَرَفَعَ أَبِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي

حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ  
بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٣٠﴾ ﴿

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ قيل: وجه يوسف إلى أبيه جهازاً ومائتي راحلة ليتجهز إليه  
بمن معه، وخرج يوسف والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر  
بأجمعهم، فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهودا، فنظر إلى الخيل والناس فقال: يا  
يهودا، أهذا فرعون مصر؟ قال: لا، هذا ولدك، فلما لقيه، قال يعقوب - عليه السلام -:  
السلام عليك يا مذهب الأحزان، وقيل: إن يوسف قال له لما التقيا: يا أبت، بكيت علي  
حتى ذهب بصرك، ألم تعلم أن القيامة تجمعننا؟ فقال: بلى، ولكن خشيت أن تسلب دينك  
فيحال بيني وبينك، وقيل: إن يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون، ما بين رجل  
وامرأة، وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلاً  
سوى الذرية والهرمي، وكانت الذرية ألف ألف ومائتي ألف، ﴿ءَأَوَىٰ إِلَيْهِ أَبُوِّي﴾: ضمهما  
إليه واعتقهما، قال ابن أبي إسحاق: كانت أمه تحيي، وقيل: هما أبوه وخالته، ماتت أمه  
فتزوجها وجعلها أحد الأبوين؛ لأن الرابة تدعى أما؛ لقيامها مقام الأم، أو لأن الخالة أم  
كما أن العم أب، ومنه قوله: ﴿وَاللَّهُ ءَابَاؤُكُمْ ءِزْبَعًا ءِزْبَعًا وَءِزْبَعًا ءِزْبَعًا﴾.

فإن قلت: ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر؟

قلت: كأنه حين استقبالهم نزل لهم في مضرب<sup>(١)</sup> أو بيت ثم، فدخلوا عليه وضم إليه  
أبويه، ثم قال لهم: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾، ولما دخل مصر، وجلس في  
مجلسه مستوراً على سريره واجتمعوا إليه، أكرم أبويه ورفعهما على السرير، ﴿وَخَرُّوا لَهُ  
يَعْنِي: الإخوة الأحد عشر والأبوين، ﴿سُجَّدًا﴾، ويجوز أن يكون قد خرج في قبة من  
قباب الملوك التي تحمل على البغال، فأمر أن يرفع إليه أبواه، فدخلوا عليه القبة، فأواهما  
إليه بالضم والاعتناق وقربهما منه، وقال بعد ذلك: ادخلوا مصر.

فإن قلت: بم تعلق المشيئة؟

قلت: بالدخول مكيفاً بالأمن؛ لأن القصد إلى اتصافهم بالأمن في دخولهم، فكأنه  
قيل لهم: اسلموا وأمنوا في دخولكم إن شاء الله، ونظيره قولك للغازي: ارجع سالمًا  
غانماً إن شاء الله، فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقاً، ولكن مقيداً بالسلامة والغنيمة، مكيفاً  
بهما، والتقدير: ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين، ثم حذف الجزاء؛ لدلالة  
الكلام عليه، ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذوي الحال، ومن بدع التفاسير أن

(١) قوله: «في مضرب» عبارة النسفي: مضرب خيمة (ع).

قوله (إن شاء الله): من باب التقديم والتأخير، وأن موضعها ما بعد قوله: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾: في كلام يعقوب، وما أدري ما أقول فيه وفي نظائره.

فإن قلت: كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله؟

قلت: كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة، كالقيام، والمصافحة، وتقبيل اليد، ونحوها مما جرت عليه عادة الناس، من أفعال شهرت في التعظيم والتوقير، وقيل: ما كانت إلا انحناء دون تعفير الجباه، وخرورهم سجداً ياباه، وقيل: معناه: وخرّوا لأجل يوسف سجداً لله شكراً، وهذا - أيضاً - فيه نبوة، يقال: أحسن إليه وبه؛ وكذلك أساء إليه وبه؛ قال [من الطويل]:

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةَ ..... (١)

﴿مَنْ أَلْدُو﴾: من البادية؛ لأنهم كانوا أهل عمد، وأصحاب مواش، ينتقلون في المياه والمساجع، ﴿نَزَعٌ﴾: أفسد بيننا وأغرى، وأصله: من نخس الرائض الدابة وحمله على الجري، يقال: نزغه ونسغه: إذا نخسه، ﴿لَطِيفٌ إِمَّا يَسَاءُ﴾: لطيف التدبير لأجله، رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب، وروي أن يوسف أخذ بيد يعقوب، فطاف به في خزائنه، فأدخله خزائن الورق والذهب، وخزائن الحلّي، وخزائن الثياب، وخزائن السلاح، وغير ذلك، فلما أدخله خزانة القراطيس، قال: يا بني، ما أعقك: عندك هذه القراطيس، وما كتبت إليّ على ثمان مراحل؟ قال: أمرني جبريل، قال: أو ما تسأله؟ قال: أنت أبسط إليه مني فسله، قال جبريل - عليه السلام -: الله تعالى أمرني بذلك لقولك: ﴿وَأَحَادٌ أَنْ يَأْكُلَهُ الدُّهُبُ﴾ قال: فهلا خفتني؟ وروي أن يعقوب أقام معه أربعاً وعشرين سنة ثم مات، وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه إسحاق، فمضى بنفسه ودفنه ثمة. ثم عاد إلى مصر، وعاش بعد أبيه ثلاثاً وعشرين سنة، فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم له، طلبت نفسه الملك الدائم الخالد، فتاقت نفسه إليه فتمنى الموت، وقيل: ما تمناه نبيّ قبله ولا بعده، فتوفاه الله طيباً طاهراً، فتخاصم أهل مصر وتشاحوا في دفنه: كل يحب أن يدفن في محلّتهم حتى هموا بالقتال، فرأوا من الرأي أن عملوا له صندوقاً من مرمر وجعلوه فيه، ودفنوه في النيل بمكان يمرّ عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعاً واحداً<sup>(٢)</sup>، وولد له: إفرائيم وميشا، وولد لإفرائيم نون، ولنون يوشع فتى موسى، ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر، ولم يزل بنو إسرائيل تحت أيديهم

(١) تقدم.

(٢) قوله: «ليكونوا كلهم فيه شرعاً واحداً» في الصحاح: الناس في هذا الأمر شرع، أي سواء، يحرك ويسكن (ع).

على بقايا دين يوسف وآبائه، إلى أن بعث الله موسى، ﷺ.

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مَا تَأْوِيلُ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١١١)

«من» في: ﴿ مِنَ الْمُلْكِ ﴾، و﴿ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾: للتبويض؛ لأنه لم يعط إلا بعض ملك الدنيا، أو بعض ملك مصر وبعض التأويل، ﴿ أَنْتَ وَلِيُّ ﴾: أنت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين، ويوصل الملك الفاني بالملك الباقي، ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ﴾: طلب للوفاة على حال الإسلام، ولأن يختم له بالخير/ ١١٧٦ والحسنى، كما قال يعقوب لولده: ﴿ وَلَا تَمُوتَنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ويجوز أن يكون تمنياً للموت على ما قيل: ﴿ وَالْحَقِّقِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ من آبائي أو على العموم، وعن عمر بن عبد العزيز: أن ميمون بن مهران بات عنده، فرآه كثير البكاء والمسألة للموت، فقال له: صنع الله على يديك خيراً كثيراً: أحيت سنناً، وأمت بدعاً، وفي حياتك خير وراحة للمسلمين، فقال: أفلا أكون كالعبد الصالح لما أقر الله عينه وجمع له أمره، قال: «توفني مسلماً وألحقني بالصالحين».

فإن قلت: علام انتصب فاطر السموات؟

قلت: على أنه وصف لقوله: (رب)؛ كقولك: أخا زيد حسن الوجه، أو على النداء.

﴿ ذَلِكَ مِنْ أُمَّةٍ أَلْقَيْتُ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ (١١٢)

﴿ وَكَذَلِكَ ﴾: إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف، والخطاب لرسول الله ﷺ ومحلّه الابتداء، وقوله: ﴿ مِنْ أُمَّةٍ أَلْقَيْتُ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾: خبر إن، ويجوز أن يكون اسماً موصولاً بمعنى: الذي، و﴿ مِنْ أُمَّةٍ أَلْقَيْتُ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾: صلته (ونوحيه): الخبر، والمعنى: أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحي؛ لأنك لم تحضر بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم، وهو إلقاءهم أخاهم في البئر؛ كقوله: ﴿ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ ﴾، وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه؛ لأنه لم يخف على أحد من المكذبين أنه لم يكن من حملة هذا الحديث وأشباهه، ولا لقي فيها أحداً ولا سمع منه، ولم يكن من علم قومه، فإذا أخبر به وقص هذا القصص العجيب الذي أعجز حملته ورواته، لم تقع شبهة في أنه ليس منه وأنه من جهة الوحي، فإذا أنكروه تهكم بهم، وقيل لهم: قد علمتم يا مكابرة، أنه لم يكن مشاهداً لمن مضى من القرون الخالية، ونحوه: ﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ آلِ مُوسَى إِذْ فَضَيْنَا إِلَيْكَ مُوسَى الْأَمْرَ ﴾ [القصص: ٤٤]، ﴿ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾: بيوسف، ويغنون له الغوائل.

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (١١٣) وَمَا تَسْلَهُمُ عَلَيْهِ مِنْ آجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا

ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١١٤﴾

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾: يريد العموم؛ كقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وعن ابن عباس - رضي الله عنه - أراد أهل مكة، أي: وما هم بمؤمنين، ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾: وتهالكت على إيمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾: على ما تحدثهم به وتذكرهم أن ينيلوك منفعة وجدوى، كما يعطي حملة الأحاديث والأخبار، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عظة من الله، ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾: عامة، وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله.

﴿وَكَايُنَ مِنْ آيَاتِهِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِمَرُوتٍ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (١٧٥)

﴿مِنْ آيَاتِهِ﴾: من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده، ﴿بِمَرُوتٍ عَلَيْهَا﴾: ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها، وقرئ: (والأرض): بالرفع على الابتداء، ويمرون عليها: خبره، وقرأ السدي: (والأرض): بالنصب على: ويطؤون الأرض يمرّون عليها، وفي مصحف عبد الله: «والأرض يمشون عليها»: برفع الأرض، والمراد: ما يرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من العبر.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (١٧٦)

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ﴾: في إقراره بالله، وبأنه خلقه وخلق السموات والأرض، إلا وهو مشرك بعبادته الوثن، وعن الحسن: هم أهل الكتاب، معهم شرك وإيمان، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: هم الذين يشبهون الله بخلقه.

﴿فَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٧٧)

﴿غَشِيَةٌ﴾: نقمة تغشاهم، وقيل: ما يغمرهم من العذاب ويجللهم، وقيل: الصواعق.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ

الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٧٨)

﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾: هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي، والسبيل والطريق: يذكران ويؤنثان، ثم فسر سبيله بقوله: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾، أي: ادعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء، و﴿أَنَا﴾: تأكيد للمستتر في: (أدعو)، ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾: عطف عليه، يريد: أدعو إليها أنا، ويدعو إليها من اتبعني، ويجوز أن يكون: (أنا): مبتدأ، و(على بصيرة): خبراً مقدماً، و(من اتبعني): عطفاً على (أنا): إخباراً مبتدأ بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان، لا على هوى، ويجوز أن يكون (على بصيرة): حالاً

من (أدعو): عاملة الرفع في: (أنا ومن اتبعني)، ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾: وأنزله من الشركاء<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ  
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا  
تَعْقِلُونَ ﴿١١٩﴾﴾

﴿إِلَّا رِجَالًا﴾: لا ملائكة؛ لأنهم كانوا يقولون: ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلْنَا مَلَائِكَةً﴾، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: يريد ليست فيهم امرأة، وقيل: في سجاج المتنبهة [من البسيط]:

..... وَلَمْ تَزَلْ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ ذُكْرَانًا<sup>(٢)</sup>

وقرى: «نوحى إليهم»: بالنون<sup>(٣)</sup>، ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾؛ لأنهم أعلم وأحلم، وأهل البوادي فيهم الجهل، والجفاء والقسوة، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾: ولدان الساعة، أو الحال الآخرة، ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾: للذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه، وقرئ: «أفلا تعقلون»: بالتاء والياء.

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشَأٍ وَلَا يَرُدُّ  
بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٥﴾﴾

(١) قوله: «وأنزله من الشركاء» لعله «عن» (ع).

(٢) أضحت نبيتنا أنثى نساء بها  
ولم تزل أنبياء الله ذكرا  
فلعنة الله والأنوام كلهم  
على سجاج ومن بالإفك أغرانا  
أعني مسيلمة الكذاب لا سقيت  
أصداؤه ماء مزن حيثما كانا

لقيس بن عاصم. ويروى: نطيف بها، بدل نساء بها. وطاف به يطوف: دار حوله. وطاف به يطيف: أتى عليه ونزل به. وهذا مبني للمجهول منه، عطف على أضحت. ويروى بدل الشطر الأول، فما سمعت بأنثى قط أرسلها، فالفاعل ضمير الله وإن لم يتقدم له مرجع لظهوره. ويروى بدل الثاني: وأصبحت أنبياء الناس ذكرا. وسجاج: علم امرأة من سجع إذا سمح وعفا، وهي بنت المنذر، كانت شريفة في قومها بني حنيفة، فادعت النبوة، ثم تزوجت بمسيلمة الكذاب فاتبعه قومها، ثم حاربه أبو بكر رضي الله عنه فقتل على يدي وحشي قاتل حمزة، فأسلمت بعده وحسن إسلامها. ويروى «باللؤم» بدل الإفك. ولا سقيت: جملة دعائية. والأصداؤه: جمع صدي، وهو ذكر البوم: كانت العرب تزعم أن عظام رأس القتيل تصير بومة تزقو وتصيح: أدركوني أدركوني، حتى يؤخذ بشاره، وهي هنا مجاز عن جشته كلها. والمزن واحد مزنة وهو السحاب، أي: اللهم اجعل قبره حارا عليه لا يناله غيث.

(٣) قوله: «وقرى» ﴿نُوحِيَ إِلَيْهِمْ﴾ بالنون مبني للمعلوم؛ فتكون القراءة الأصلية بالياء، مبني للمجهول (ع).

﴿حَتَّى﴾: متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام، كأنه قيل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾: فتراخى نصرهم حتى استياسوا عن النصر، ﴿وَوَظَّنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَبُوا﴾ أي: كذبتهم أنفسهم<sup>(١)</sup>، حين حدثتهم بأنهم ينصرون، أو رجاؤهم لقولهم: رجاء صادق، ورجاء كاذب، والمعنى: أن مدة التكذيب والعداوة من الكفار، وانتظار النصر من الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت، حتى استشعروا القنوط، وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا، فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله من النصر<sup>(٢)</sup>، وقال: كانوا بشراً، وتلا قوله: ﴿وَوَدَّ لَوْ أَنَّ يَتَّبِعُوا حَتَّى يَبُولَ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٤]، فإن صح هذا عن ابن عباس، فقد أراد بالظن: ما يخطر بالبال ويهيجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية، وأما الظن الذي هو ترجيح أحد الجائزين على الآخر، فغير جائز على رجل من المسلمين، فما بال رسل الله / ١٧٦ ب الذين هم أعرف الناس بربهم، وأنه متعال عن خلف الميعاد، منزه عن كل قبيح؟ وقيل: وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا، أي: أخلفوا، أو: وظن المرسل إليهم أنهم كذبوا من جهة الرسل، أي: كذبتهم الرسل في أنهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه، وقرئ: «كذبوا»: بالتشديد على: وظن الرسل أنهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم، وقرأ مجاهد: «كذبوا»: بالتخفيف، على البناء للفاعل، على: وظن الرسل أنهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصر، إما على تأويل ابن عباس، وإما على أن قومهم إذا لم يروا لموعدهم أثراً قالوا لهم: إنكم قد كذبتُمونا فيكونون كاذبين عند قومهم، أو وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا، ولو قرئ بهذا مشدداً، لكان معناه: وظن الرسل أن قومهم كذبوهم في موعدهم، قرئ: «فنجي»: بالتخفيف والتشديد، من أنجاه ونجاه، «وفنجي»: على لفظ الماضي المبني للمفعول، وقرأ ابن محيصة: «فنجاء»، والمراد بـ ﴿مَنْ نَشَأُ﴾: المؤمنون؛ لأنهم الذين يستأهلون أن يشاء نجاتهم، وقد بين ذلك بقوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسًا عَنِ الْقَوْرِ الْمُجْرِبِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا كَانَتْ فِي قَلْبِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

- (١) قال محمود: «معناه يشوا من النصر وظنوا أن أنفسهم كذبتهم... إلخ» قال أحمد: ولا يلزم أن يكون الله وعدهم بالنصر في الدنيا، بل كانوا يظنون ذلك ويرجونه لا عن إخبار وحي.
- (٢) عاد كلامه. قال: «ونقل عن ابن عباس أنه قال: فظنوا حين ضعفوا وغلبوا... إلخ» قال أحمد: وهذا أيضاً تأويل حسن ينظم بين القراءتين؛ لأن ظن الأمم كذب رسلهم تكذيب لهم، فيؤدي مؤدى قراءة التشديد.

الضمير في ﴿فَصَّهِمُ﴾: للرسول؛ وينصره قراءة من قرأ: ﴿فِي فَصَّهِمُ﴾: بكسر القاف، وقيل: هو راجع إلى يوسف وإخوته.

فإن قلت: فالإمام يرجع الضمير في: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ فيمن قرأ بالكسر؟

قلت: إلى القرآن، أي: ما كان القرآن حديثاً يفترى، ﴿وَلَكِنْ﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: قبله من الكتب السماوية، ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾: يحتاج إليه في الدين؛ لأنه القانون الذي يستند إليه السنة والإجماع والقياس بعد أدلة العقل، وانتصاب ما نصب بعد: (لكن): للعطف على خبر كان، وقرئ: (ذلك): بالرفع على: ولكن هو تصديق الذي بين يديه.

عن رسول الله ﷺ: «عَلِّمُوا أَرْقَاءَكُمْ سُورَةَ يُوسُفَ؛ فَإِنَّهُ أَيْمًا مُسْلِمٌ تَلَاهَا وَعَلَّمَهَا أَهْلَهُ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ هُوَ اللَّهُ عَلَيْهِ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ، وَأَعْطَاهُ الْقُوَّةَ أَلَا يَخْسِدُ مُسْلِمًا» (٧٩٧).

---

٧٩٧ - ذكره ابن كثير في تفسيره (٤٦٦/٢) في تفسير سورة يوسف، وقال الزيلعي: رواه الشعالبي في تفسيره عن أبي بن كعب وهو حديث ضعيف، وعزاه الزيلعي لابن مردويه في تفسيره بسنده المذكورين في آل عمران، وللواحد في تفسيره الوسيط بسنده المذكور في سورة يونس، وينظر حديث (٣٤٦).

وقال الحافظ: تقدم إسناده في تفسير آل عمران وهو في آخر آل عمران، وفي آخر الكتاب أيضاً. انتهى.